

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

معركة حصن العقاب وإنعكاساتها على العالمين الإسلامي و

المسيحي (609هـ/1212م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

تحت إشراف/

✓ إعداد الطالبة/

البروفسور: بتة مرزوق.

حمريط سهام.

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	فتحي عباس	أستاذ محاضر أ	محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
2	بتة مرزوق	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
3	جمال البوص	أستاذ مساعد أ	محمد بوضياف المسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023/2022م.

شكرته

بسم الله الذي نزل القرآن.

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد:

نتقدم بالشكر الجزيل أولاً وقبل كل شيء إلى الله عز وجل ثم إلى كل
من مد لنا يد العون لإتمام هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد،
ونخص بالذكر البروفسور الأستاذ المشرف بته لمرزوق وفقه الله على طول
صبره، ونشكر لجنة المناقشة التي تكبدت عناء دراسة المذكرة وتقويم
أخطائها .

إهداء

الحمد لله والصلاة على الحبيب وعلى آله ومن وفى.
أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من وهبني الحياة والأمل،
والنشأة على شغف الإطلاع والمعرفة، ومن علموني أن
أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر، برا، وإحسانا، ووفاء لهما:
والدي العزيز، ووالدتي العزيزة.
إلى من وهبني الله نعمة وجوده في حياتي، إلى العقد المتين،
إلى من كان عوننا لي في رحلة بحثي: زوجي.
إلى بذرة الفؤاد وأمل الغد إبنائي: محمد رشاد وطه أصيل.
إلى إخوتي وأخواتي مصدر فخري.
إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ج	الجزء
ط	الطبعة
(د.ت)	بدون تاريخ الطبعة
ص	الصفحة
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري
(د.ط)	دون طبعة

مقدمة

اتسعت رقعة الوجود الإسلامي في المغرب وبلاد الأندلس ، ذلك أن وجوده في بلاد الأندلس استمر لما يقارب ثمانية قرون منذ الفتوحات الإسلامية لها سنة (92هـ/711م) إلى غاية سقوط غرناطة (1492م)، أين شهدت المنطقة صراعات عديدة داخلية وخارجية مستمرة، حيث سعى النصارى في كل مرة إلى استرداد الأراضي من المسلمين مترقبين أي فرصة للقضاء على المسلمين وطردهم من أراضيهم.

ومع تنامي قوة الممالك النصرانية بالأندلس إشتدت حدة الصراع بين النصارى والمسلمين بالأندلس وخاصة عندما لبس هذا الصراع طابعا دينيا، فنشطت الحملات الإسبانية النصرانية التي ألبست طابعا صليبيا خلال القرن (6هـ/12م) لتحقيق مشروع استرداد الأندلس وطرد المسلمين منها، حيث كانت آنذاك بلاد الأندلس تحت حكم وسلطة الدولة الموحدية ، وكانت الأندلس بمثابة مورد اقتصادي هام للدولة وحملت طابع روحي هام للموحدين فهي إرث للأجيال والدفاع عنها هو دفاع عن المغرب في حد ذاته.

ومع مطلع القرن السابع هجري الثالث عشر للميلاد حدث أكبر تحالف للممالك النصرانية مرتديا ثوبا دينيا بمباركة الكنيسة الكاثوليكية تحت قيادة ملك قشتالة ((ألفونسو الثامن)) في أكبر تحالف صليبي ضد المسلمين الذين كانوا بقيادة السلطان الموحد الناصر ليصطدم الطرفان في أكبر معارك القرن في العصر الوسيط وهي معركة ((حصن العقاب)) التي حدثت في 15 صفر 609هـ الموافق 16 يوليو 1212م أو كما تسمى عند الأوروبيين ((معركة لاس نافاس دي تولوسا)) والتي كان من نتائجها هزيمة الدولة الموحدية وكانت انعكاساتها وخيمة على الوجود الإسلامي والمسلمين بالأندلس.

- أسباب اختيار الموضوع:

ومن أسباب اختيارنا للموضوع هو أن المعركة تعد أهم المعارك التاريخية التي حدثت بين المسلمين والنصارى، بالإضافة إلى أن أغلب الدراسات السابقة تناولت تاريخ الدولة الموحدية بشكله العام وأهملت الجزئيات خاصة في الجانب السياسي والعسكري لكونها مثلت نقطة مفصلية في تحديد مصير الدولة الموحدية عامة والأندلس بشكل خاص.

- أهداف الدراسة:

نحن نهدف من هذه الدراسة إلى:

- إبراز انعكاسات المعركة كونها أهم حادثة وقعت في القرن السابع للهجري الثالث عشر ميلادي.
- إظهار الحالة التي آلت إليها الأندلس بعد الانهزام المروع في معركة حصن العقاب.
- محاولة إثراء الرصيد المكتبي لدراسة مفصلة عن تلك الحادثة من تاريخ المغرب والأندلس.

- طرح الإشكالية:

لدراسة الموضوع طرحنا إشكالية رئيسية تتمحور في:

- فيما تمثلت تأثيرات هزيمة الموحدين بعد معركة العقاب (609هـ/1212م) على العالمين الإسلامي والمسيحي؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية نذكرها فيما يلي :

- كيف كانت طبيعة الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الموحدية والممالك النصرانية قبيل موقعة العقاب؟
- ما هي الأسباب الحقيقية لاندلاع معركة حصن العقاب؟
- ما مدى استعداد كل من المعسكر الإسلامي والنصراني لخوض معركة حصن العقاب؟
- هل كانت هناك أسباب وراء ذلك الانهزام المروع للموحدين في معركة حصن العقاب؟
- ما هي نتائجها على العالمين الإسلامي والعالم المسيحي؟
- ماهي تأثيراتها على طربي الصراع؟

- الدراسات السابقة:

فقد حظي هذا الموضوع بدراسات سابقة نذكر منها:

- وليد بزوجي : دولة الموحدين بعد موقعة العقاب دراسة في التراجع الحضاري في الغرب الإسلامي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، 2014-2015، وتعد من الدراسات القليلة التي تناولت الجانب العسكري في عصر

الموحدين وقد استفدنا من هذه الدراسة كثيرا كونها عاجلت المعركة بنوع من التحليل الدقيق مع الخروج بأسباب الموحدين فيها.

- عبد الجبار صديقي: سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

- أحمد كرعي: معركة العقاب دراسة في أسباب الهزيمة والتداعيات، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارات العصر الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، جامعة يحي فارس، المدية، 2015-2016، وقد استفدنا من هذه الدراسة كونها عاجلت أسباب هزيمة الموحدين في المعركة.

- طيب باي حبيب، عابدي أحمد، جلي يحي: معركة العقاب دراسة تحليلية في الأسباب والنتائج 609هـ/1212م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2017-2018.

- منهج الدراسة:

واعتمدنا في مذكرتنا منهجا تاريخيا يقوم على آلية الوصف والمنهج التحليلي في إبراز الوضع العام للدولة الموحدية واستقراء واستنباط أهم أسباب هزيمة الموحدين في معركة العقاب وأبرز تداعياتها على العالمين الاسلامي والمسيحي.

- دراسة المصادر والمراجع:

اعتمدنا على بيبليوغرافيا متنوعة في المصادر والمراجع أهمها:

أ- المصادر:

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ((الجزء الخاص بالموحدين لمؤلفه ابن عذاري، قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين، ويعتبر مرجعا مصدرا مهما لكثير من الأحداث من أواخر أيام الدولة المرابطية إلى انهيار الدولة الموحدية، ذلك أنه كان شاهدا على هذه الفترة كما أنه اطلع على الكثير من المصادر ككتب ابن صاحب الصلاة وابن القطان)).

- كتاب ((المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي الذي تناول كل تاريخ بلاد المغرب منذ الفتح وحتى أواخر الدولة الموحدية، هذا ما زاد من قيمته التاريخية كونه عاصر الفترة التي نريد دراستها)).

- كتاب ((المن بالإمامة)) لابن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1198م) وهو مصدر مهم في تاريخ الدولة الموحدية ذلك أن المؤلف شاهد عيان للفترة المدروسة خاصة أنه كان عاملا في البلاط الموحدية وقربا

من الخليفة أبو يعقوب المنصور واعتمدنا على الجزء الذي حققه الأستاذ عبد الهادي التازي حيث أفادنا كثيرا في دراستنا هذه خاصة فيما يتعلق بالثورات الأولى على الموحدين، كما يذكر بعض المعاهدات التي عقدها الموحدون مع الممالك النصرانية حتى أن أغلب المؤرخين الذين جاؤوا بعده نقلوا عنه نصوص تلك المعاهدات كاملة مثل ابن عذاري وابن القطان.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون (ت 808هـ/1405م)، حي يعتبر من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا وقد أفادنا في معرفة الأحداث التي عرفتها بلاد المغرب قبل ظهور الدولة الموحدية وبعد نشأتها.

ب- كتب التراجم والسير:

بالنسبة للمصادر المتعلقة بالتراجم والسير فقد اعتمدنا:

- كتاب ((الحلة السيرة)) لبن الآبار القطاعي (ت 658هـ/1260م) ، حيث أفادنا في الترجمة لبعض الشخصيات التي عاصرت الدولة الموحدية والتي كان لها الدور الكبير في صنع الأحداث آنذاك، ذلك أن ابن الآبار كان معاصرا لهذه الفترة وقد خصص لها جزءا كبيرا من كتبه.

- كتب ((الإحاطة في أخبار غرناطة)) لابن الخطيب ((776هـ/1291م)) حيث أفادنا هذا الكتاب في ترجمة بعض الشخصيات التي كانت لها علاقة بالأحداث في الدولة الموحدية كما تم استخلاص بعض المعلومات التي لها علاقة بالموحدين مع الممالك النصرانية.

ج- المراجع:

فقد تنوعت وأهمها:

- دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان وهو كتاب مفيد جدا في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح وحتى السقوط ، ويتميز باحتوائه على الكثير م المخطوطات والمراجع الاسبانية، وقد استفدنا منه كثيرا خاصة في تتبع مجريات معركة العقاب وإبرازه لأهم أسباب هزيمة الموحدين فيها.

- سقوط الموحدين لعقيلة الغناي والذي تناول الدولة الموحدية من النشأة إلى السقوط، وتضمن الكثير من الأسباب حول ضعف الدولة الموحدية، كما تطرق هذا الكتاب للحروب التي خاضها الموحدون في الأندلس ضد النصرانيين ومنها معركة حصن العقاب.

- الأندلس في عهد المرابطين والموحدين للمستشرق الألماني يوسف أشباخ الذي قام بترجمته " محمد عبد الله عنان " ، حيث اعتمدنا في دراستنا على جزئه الثاني الذي تضمن تاريخ الموحدين بشكل مفصل واستقرأه معركة حصن العقاب بموضوعية.

- خطة البحث:

من أجل الإجابة على التساؤلات المطروحة اتبعنا المنهج التحليلي والوصفي الذي يكون ملائماً لمثل هذه المواضيع، حيث اقترحنا خطة مكونة من مقدمة يليها ثلاث فصول تضمن الفصل الأول الأوضاع في بلاد المغرب والأندلس قبيل المعركة، فيما تضمن الفصل الثاني وقائع سير المعركة وأسبابها في حين تضمن الفصل الثالث مبحثين تضمن الأول نتائج المعركة أما الثاني فتناولنا فيه انعكاسات المعركة على العالمين الاسلامي و المسيحي، وفي الأخير كانت خاتمة تضمنت محاولتنا الإجابة على الإشكالية والتساؤلات الفرعية المطروحة، وأتبعناها بمختلف الملاحق التي تم اقتباسها من مختلف المراجع المتنوعة وخرائط توضيحية تدعم الدراسة.

- صعوبات البحث:

- صعوبة الحصول على الرسائل والأطروحات نظراً للوقت غير الكافي وارتباطاتنا المهنية والعائلية.
- صعوبة وضع خطة تلم بجميع الأحداث التي سايرت المعركة.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

المبحث الأول: قيام دولة الموحدين وأبرز حكامها.

المطلب الأول: قيام دولة الموحدين.

المطلب الثاني: أبرز حكام الدولة الموحدية.

المبحث الثاني: أهم الانتصارات الموحدية قبل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

المطلب الأول: ثورة ابن عبد الكريم الرجرجي.

المطلب الثاني: ثورة الميورقي.

المطلب الثالث: ثورة عبد الرحيم بن عبد الرحمان (598هـ/1201م):

المطلب الرابع: ثورة بني غانية (582هـ/1186م) وفتح ميورقة .

المبحث الثالث: أوضاع الممالك النصرانية والأندلس قبيل المعركة.

المطلب الأول: ثورة القاضي ابن مروان ببلنسية.

المطلب الثاني: ثورة ابن مردنيش 560هـ/1165م.

المطلب الثالث: معركة الأرك 591هـ/1195م.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

شهد المغرب الإسلامي انتصارات الدولة الموحدية في أوجها، حيث اتسعت رقعتها في المغرب الإسلامي والأندلس، ووصلت العلوم والحرف والعمران إلى أوج عطائها في ذلك الوقت، وسنستعرض في هذا الفصل الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك في المغرب الإسلامي والأندلس.

- المبحث الأول: المبحث الأول: قيام دولة الموحدين وأبرز حكامها.

- المطلب الأول: قيام دولة الموحدين.

نشأت دولة الموحدين بالمغرب والأندلس، حيث قامت هذه الدولة على أساس دعوة دينية إصلاحية طابعها الجهاد والانتساع وهدفها تحقيق وحدة شاملة، ترأسها خلافة دينية شرعية خاصة بالموحدين¹، كما خلفت دولة المرابطين في حكم المغرب والأندلس دولة مغربية مجاهدة أخرى².

ومؤسس هذه الدولة هو الفقيه أبو عبد الله محمد ابن تومرت³، الذي ولد سنة 485هـ/1092م على وجه التقريب، في قبيلة مصمودية⁴، صغيرة تسمى أرغان أو هرغان وكان محمد ابن تومرت رجلا غير عادي الذكاء، وكان ذكائه كله منصرفا إلى السياسة التي كان يطمع من خلالها إلى سلطان الملك، كما أنه وضع كل ما حصله من العلم في خدمة طموحه السياسي وهذا الطموح السياسي أيضا مشكلة من المشاكل، فهذا الرجل الذي تصدى لإنشاء كيان سياسي فريد من نوعه هو حركة الموحدين ونظمه على طريقة مبكرة تدل على ذهن منهجي مركب وتمكن من أن يسقط دولة كبرى هي دولة المرابطين ويقيم دولة أكبر منها مكانها، هذا الرجل كان متقشفا زاهدا لا يتمسك أي مظهر من مظاهر السلطان فقد كان حصورا لا يقرب النساء وهو لم يتزوج ولا أنجب، ولم

¹ أحمد مختار العبادي: صورة من حياة حرب والجهاد في الأندلس، ط 1، الإسكندرية، 2000م، ص 141.

² الأندلس: يراد به هذا اللفظ "إسبانيا الإسلامية" اشتقه العرب من كلمة "واندولوس" نسبة إلى القبائل القوطية الوندالية ذات الأصول الجرمانية التي اجتاحت جنوب أوروبا خلال القرن 5 م، في بادئ الأمر كان يضم هذا اللفظ كافة شبه الجزيرة الإيبيرية لكن بدأ يتقلص جغرافيا حتى أصبح حاليا يطلق على مقاطعة جنوب إسبانيا. أبو القاسم ابن عبيد ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، 1889م، ص 80-90.

³ ابن تومرت: هو الشيخ الإمام الفقيه الأصولي الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن تومرت البربري مصمودي الهرغي، رحل من السوس الأقصى شابا من المشرق فنجح وتفقه وحصل أطرافا من العلم وكان أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر قوي النفس شجاعا، كان فقيرا خشن العيش، كان لهجا بعلم الكلام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف فحمل عليها أتباعه وتماهم الموحدين، ونبذ من خالفه وأباح دمه. شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي ت 748هـ/1374م: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 1، بيروت، لبنان، 1405هـ/1984م، ج 19، ص 539-541.

⁴ مصمودة: قبيلة بربرية يونسية والتي تضم عدد لا يحصى من البطون والفروع أهمها هرغة، هرغان، هنتانة، مزميز، هيلانة، هسكورة، سميت مجموع هذه القبائل بالمصامدة حيث اعتصموا بجبل درن في بلاد المغرب الأقصى وعلى عصبيتها قامت الدولة الموحدية. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج 6، ص 461.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

يجعل نفسه خليفة أو سلطانا بل مهد الطريق لعبد المؤمن بن علي الكومي لكي يبلغ الرياسة السياسية والدينية ويتمتع هو وبنوه بالملك وما يتصل به في حين مات ابن تومرت فقيرا رغم الجاه الروحي الذي تمتع به⁵.

المطلب الثاني: أبرز حكام الدولة الموحدية.

1- عبد المؤمن بن علي (524هـ-558هـ/1129-1163م) وتأسيس دولة الموحدين:

كان عبد المؤمن بن علي الكومي هو أول حكام دولة الموحدين من قبائل الأمازيغ البربر ولد في مدينة تاجراوات بالمغرب قرب تلمسان ونشأ فيها طالبا للعلم وأبوه كان صانع فخار⁶، ويصفه عبد الواحد المراكشي فيقول: (وكان أبيض ذا جسم عمم تعلوه حمرة شديد سواد الشعر معتدل القامة وضيء الوجه جهوري الصوت فصيح الألفاظ، وكان محببا إلى النفوس لا يراه أحد إلا أحبه بديهة)⁷.

وقال عنه الزركلي في الأعلام: (وكان عاقلا حزما شجاعا موفقا، كثير البذل للأموال شديد العقاب على الجرم الصغير عظيم الاهتمام بشؤون الدين محبا للغزو والفتوح)⁸.

وبعد أن سيطر عبد المؤمن بن علي على مقاليد الأمور في العاصمة مراكش وأحكم قبضته على المغرب الأقصى وجه اهتمامه إل الشرق حيث خرجت الجيوش الموحدية في حملات متتابعة ناحية الشرق حتى وصلت إلى طرابلس في إفريقيا، محققة انتصارات عسكرية متتالية وبذلك نجح الموحدون في تحقيق وحدة سياسية للمغرب الإسلامي تدار شؤونها في عاصمة الخلافة في مراكش، غير أن خضوع هذه المناطق المترامية لسلطة الخلافة الموحدية في مراكش انعكست آثاره على حياة المغرب الأقصى وخاصة منذ أن بدأ الصراع بين الموحدين والعرب الهلالية، وفي نفس الوقت لم ينسى الموحدون واجبهم في حماية الأندلس، وذلك حين شرع عبد المؤمن في تجهيز حملة كبيرة ضد النصارى على مدن الأندلس في سنة 556هـ/1160م، إلا أن مرض الخليفة عبد المؤمن حال دون إتمام هذه الحملة حيث أفضى المرض إلى موته في سنة 558هـ/1162م⁹، بعد أن ترك وراءه دولة مترامية الأطراف تمتد من طرابلس إلى المحيط الأطلسي ومن السوس الأقصى جنوبا إلى جزيرة الأندلس شمالا.

⁵ عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي ت 647 هـ/1249م): وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 1997م، ص 70.

⁶ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، د ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، د ت، ص 265.

⁷ المصدر نفسه، ص 266.

⁸ خير الدين الزركلي: الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ماي 2002م، ج 4، ص 170.

⁹ البيدق (أبو بكر الصنهاجي ت 55 هـ/1160م): أخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، د ط، باريس، 1928م، ص 83.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

وعن وفاة عبد المؤمن يقول الزركشي: (وأدركته منيته بسلا وتوفي في ليلة الخميس العاشر من جمادى الأخيرة من سنة ثمان وخمسين وخمسائة ودفن بتينمل بجانب المهدي وكانت خلافته ثلاث وثلاثين عاما وثمانية أشهر ونصف وخلف ستة عشر ذكرا وبنتين)¹⁰.

2- عهد يوسف بن عبد المؤمن بن علي (558-580هـ/1163-1184م):

تولى خلفا لعبد المؤمن بن علي ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث بويع برباط الفتح في الليلة التي توفي فيها أبوه عام 558هـ/1162م، وذلك لما يتمتع به من صفات العدل والورع والعلم مما جعله أهلا لتولي منصب الخلافة¹¹، وما إن استقر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في عاصمته حتى واجهته ثورة في جبال غمارة بقيادة مرزغ الصنهاجي¹²، حيث تبعه كثير من الناس ودخل مدينة تازا إلا أن الخليفة استطاع القضاء على الثورة وقتل زعيمها وحمل رأسه إلى مراكش ثم وجه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن جل جهوده لدعم السلطة السياسية في الأندلس، وقد استنفذ منه ذلك كثيرا من الجهد والوقت حيث أرسل جيوشا في حملات متتابعة إلى الأندلس، وقد ترأس هذا الخليفة إحدى هذه الحملات سنة 566هـ/1170م لضبط ثغورها وإصلاح أحوالها وبعدها عاد إلى المغرب وأخذ في الاستعداد مرة أخرى إلى غزوة كبرى في الأندلس عام 579هـ/1183م، إلا أن هذه الغزوة لم يكتب لها النجاح حيث أصيب الخليفة بسهم عند أسوار شنترين¹³، مما دفع الجنود إلى الرجوع ومعهم الخليفة المصاب حيث قضى نحبه عام 580هـ/1184م بعد أن قضى في الحكم اثنين وعشرين سنة¹⁴.

3- فترة حكم أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م):

في سنة 580هـ/1184م تولى مقاليد الحكم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان الخليفة الجديد في نحو

¹⁰ الزركشي (محمد ابن ابراهيم بن اللؤلؤ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 13.

¹¹ ابن عذاري المراكشي (أبو العباس بن محمد المراكشي 712هـ/1312م): بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م، ج3، ص 83.

¹² ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي 594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة، تحقيق: التازي، ط 1، بيروت، د ت، ص 307-308.

¹³ شنترين: مدينة بالأندلس من كور باجة على مقربة من لشبونة وهي مدينة على جبل عال، الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط 2، دار الخليل، لبنان، 1988م، ص 540.

¹⁴ ابن أبي زرع (أبو الحسن علي الفاسي 726هـ/1326م): الأنيب المطرب بروض القرطاس، تحقيق: الفيلاي، د ت، ج 2، ص 163.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

لخامسة والعشرين من عمره¹⁵، وقد بلغت الدولة الموحدية في عهده الذي استمر ما يقارب خمسة عشر سنة أوج ازدهارها وتقدمها، حيث بدأ الخليفة المنصور عهده بإخراج من بيت المال مائة الف دينار من الذهب، وزعت بين الأسر الفقيرة في سائر أنحاء المغرب، ثم نشط إلى مطاردة مظاهر الفساد الذي بدا واضحا في الدولة، فأندرج المخالفين بعقاب الموت وقامت الشرطة بمطاردة كل مستهتر، كما اعتنى الخليفة في نفس الوقت بالعمل على بسط العدل وتأيينه ورد المظالم التي وقعت أيام أبيه ومطاردة الظلم والعمال الظلمة، فاستبشر الناس خيرا بالعهد الجديد¹⁶.

كما قام الخليفة برفع رواتب القضاة والفقهاء في جميع أقاليم الدولة، وزاد في أجور جند الجيش الموحد النظامي، وحصن الحدود في جميع الأماكن التي يخشى عنها، كما نفذ عدة مشاريع خيرية وأنشأ الكثير من المساجد والمدارس وأنشأ البيماريستانات للمرضى واعتنى بتسهيل المواصلات والسفر فأنشأ في الطرق الرئيسية وطرق القوافل أبراجا وأحواضا لحزن الماء وآبارا للاستسقاء وفنادق لنزول المسافرين، وإليه نسبت الدنانير اليعقوبية المغربية¹⁷.

أما عسكريا فقد بذل جهدا كبيرا في تنظيم الجيش في صراعه مع بني غانية داخليا، وجهاده خارجيا ضد الصليبيين في الأندلس.

4- عهد الخليفة محمد الناصر (595-610هـ/1197-1213م):

هو أبو عبد الله الناصر محمد بن يعقوب المنصور ولد سنة 576هـ حيث سار على خطى والده وهو من أم نصرانية تدعى زهر، وكان جميل القد أبيض أسيل الخدين في لسانه لعثة، وكان شجاعا عفيفا عن الدماء¹⁸، حيث لم تكذب تمضي بضعة أشهر على توليه الخلافة حتى ظهر نائر جديد بغمارة يدعى علودان فقضى عليه الناصر ثم توجه إلى قمع حركة ابن غانية وكان قد ظهر بها نائر آخر يدعى محمد الركاكي الذي حارب ابن غانية

¹⁵ هو أمير المؤمنين يعقوب بن عبد المؤمن بن علي لقبه المنصور بفضل الله، ولد بمراكش سنة 555هـ، كان معتدل القد، أسود الشعر، واسع الأكتاف، شجاعا شهما، محبا للعلم والعلماء، ومحبا للجهاد ببيع البيعة العامة في جمادى الأولى سنة 580هـ/1184م، توفي رحمه الله في اليوم الثاني والعشرين لربيع الأول سنة 595هـ بمدينة مراكش ودام حكمه أربعة عشر سنة وأحد عشر شهرا وأربعة أيام، ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص 216-216.

¹⁶ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، القسم الثاني، عصر الموحدين وانحيار الأندلس الكبرى، ط 2، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص 142.

¹⁷ اليافعي (أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت 768هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، ج 3، ص 365.

¹⁸ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 175.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

من غير أن يفوز منه بشيء، وتمكن ابن غانية من ضم بلاد الجريد القيروان، صفاقص، قابس، تبسة، طرابلس¹⁹، واعتقل هذا الأخير عامل الناصر الشيخ أبا زيد ثم دعا للعباسيين وولى على تونس أخاه الغازي فتحررت جيوش الموحدين بقيادة الناصر ودخلوا افريقية سنة 600هـ .

واستمر حصار المهديّة أربعة أشهر حتى استسلم سير أخو يحيى فأكرم الناصر مثنوئهما ثم عين عبد الواحد ابن أبي حفص على افريقية، ورجع إلى مراكش بعد أن أنفق في غزوته ما يعادل مائة وعشرين محلاك من الذهب²⁰.

لكن عند نزول الخليفة الناصر بالمغرب الأوسط في طريقه إلى عاصمة ملكه وجه أسطولا لفتح ميورقة التي عجز أبوه المنصور عن فتحها وقد وقف أسطول الناصر لإخضاع ميورقة وقتل أميرها عبد الله بن إسحاق وكذلك قائد الموحدين في هذه الحملة أبي العلاء عم الناصر ولم يمض إلا وقت قصير على ميورقة بيد الموحدين إذ استرجعها النصارى سنة 627هـ²¹.

المبحث الثاني: أهم الانتصارات الموحدية قبل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

لا شك أن القوة الموحدية لعبت دورا أساسيا في بسط نفوذ الموحدين بين الفكرة والدولة، كما يمكن أن نلاحظ هذه القوة الجديدة في الغرب الإسلامي استطاعت بحنكة قادتها وذكائهم وتمرسهم للقتال من إلحاق الهزائم بالمرابطين وهم سلطة آنذاك لهم من الإمكانيات والعتاد ما قد يمكنهم من سحق دعوة ابن تومرت في مهدها، ولكن شاءت الأقدار أن ينتقل الملك في الغرب الإسلامي من المرابطين إلى الموحدين الذين ما لبثوا أن أسقطوا سلطان المرابطين كما فعلوا أيضا مع الحماديين والزيرييين، وكذلك تأديبهم لبني هارون وتشتيتهم في أقطار الغرب وطردهم النصارى النورمان من السواحل الإفريقية واسترداد الموحدين للأندلس وجعلها تحت حكمهم.

¹⁹ ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 332.

²⁰ ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج6، ص 333.

²¹ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، د ط، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ج1، ص 281.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

- المطلب الأول: ثورة ابن عبد الكريم الرجرجي (596هـ/1199م):

لقد امتاز عبد الكريم الرجرجي بالشجاعة، ينتمي إلى قبيلة كومية موحدية، وقد ظهر في مقاتلة الأعراب وغيرهم من الفاسدين، فاستطاع أن يجمع شغبهم بمن ألتف حوله من الجند والأنصار فلما استقوى هؤلاء المناصرين قدمه حاكم المهديّة الموحدية لتلك المهمة وأطلق يده في محاربة الخوارج والمعتدين²².

بعد ان استغاث ابن عبد الكريم بوالي افريقية فلم يقدم له الإعانة ونتيجة لاشتداد عبث الأعراب بالساحل وكثرت الشكاوى منهم وإلحاح الناس على أن يطلق سراح ابن عبد الكريم فاضطر حاكم المهديّة أبي علي أن يفعل ذلك خشية الفتنة، ورد إليه منصبه وجنده.

لكن ابن عبد الكريم غدر واستولى على المهديّة وفرض حكمه عليها وأعلن استقلاله وكان استيلاءه عليها في شهر شعبان سنة 595هـ، وكان تمرده في حدود سنة 596هـ/1199م، وفشل أبو زيد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن والي افريقية في إخضاعه، وظهر الاستبداد ابن عبد الكريم في حكمه وتسمى المتوكل على الله، واستفحل أمره وانتشر عسكر ابن عبد الكريم في أحواز تونس، وعاثوا فيها نهباً، إلا أنه استطاع أشياخ من الموحدين أن يقنعوا ابن عبد الكريم لأن يعود إلى طائفته فوعدهم خيراً ثم عاد إلى المهديّة²³.

- المطلب الثاني: ثورة الميورقي (597هـ/1200م):

ظهر وازداد خطر الميورقي على الدولة الموحدية عندما هزم يحيى الميورقي ابن عبد الكريم، واستولى على المهديّة في بداية سنة 597هـ/1200م، واستغل يحيى بن اسحاق الميورقي توقيعه معاهدة مع والي افريقية ليبسط حكمه على سائر افريقية باستثناء شاطئها الشمالي واستولى على سائر قواعدها (طرابلس، صفاقس، المهديّة، القيروان، سائر بلاد الجريد)، كما وصلت دعوته إلى بونة ولم يبقى للموحدين سوى تونس، بجاية، قسنطينة²⁴.

²² ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج6، ص 461.

²³ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 144.

²⁴ توفيق مزاري عبد الصمد: التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين، دط، منشورات دار الثقافة حسن الحسني، المدينة، الجزائر، 2009م، ص 229.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

عندما ترامت الأخبار بسقوط تونس بيد الميورقي واشتد بطشه بأحشاء افريقية عقد الخليفة الناصر عزمه على محاربه والقضاء على سلطته، وتم ذلك بالفعل بتوجيه حملة بحرية ضخمة ضده انطلقت من سبتة باتجاه شواطئ افريقية، وعين أبا يحيى ابن ابي زكريا الهزرجي قائدا على الحملة، وعندما وصلت للميورقي الأخبار بقدم الجيوش الموحدية انسحب مع جنوده متجها إلى الجنوب، فلحقته القوات الموحدية وهزمته في موقعة تاجرا في اليوم الثاني من ربيع الأول سنة 602هـ/ الموافق لـ 17/10/1205م، حيث سببت ضربات الموحدين على مدينة المهديّة المحاصرة بالمجانيق كثرة القتلى والجرحى، مما اضطر الغازي حاكم المدينة وأصحابه إلى طلب الأمان وتسليم المدينة بشروط وهذا ما حدث بتاريخ: 27 من جمادى الأولى سنة 602 هـ الموافق لـ 11 يناير 1206م²⁵.

وبتزايد تهديد الميورقي للدولة الموحدية جهز الناصر حملة كبيرة وذلك سنة 606هـ/1209م، وجعل قائد هذه الحملة محمد بن أبي حفص اليقظ الحازم، حيث التقى الجيشان في منطقة جبل نفوسة، ووقعت معركة دامية بين الطرفين، وانحزم الميورقي وحلفائه شر هزيمة، وتمثل معركة جبل نفوسة ضربة قاسية للميورقي²⁶.

حيث استطاع الموحدون القضاء على مقاومة الأعراب ويحي الميورقي وأحلافهم في افريقية، وبذلك أضعفت هذه الحركات الدولة الموحدية كثيرا²⁷.

- المطلب الثالث: ثورة عبد الرحيم بن عبد الرحمان (598هـ/1201م):

لقد تم ظهور هذه الثورة في منطقة السوس سنة 598هـ/1201م بقيادة عبد الرحيم بن عبد الرحمان الذي هو من أصل أندلسي ينتمي إلى قبيلة جزولة، وكان هذا الداعي يسمى بأبي قصبه وهو من طبقة العلماء بالأندلس وكان قد حضر في يوم من الأيام مجلس الخليفة يعقوب المنصور وبدرت منه أقوال جدلية فخاف من عواقبها فاخفى حينها عن الأنظار، ثم ظهر بعد وفاة المنصور في السوس في منازل جزولة وانتحل صفة الإمامة وادعى أنه القحطاني الذي ورد ذكره في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس ويملاً الأرض عدلا كما ملئت جورا"²⁸.

²⁵ توفيق مزاري عبد الصمد: المرجع نفسه، ص 230.

²⁶ ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 279.

²⁷ موسوعة المغرب العربي: عبد الفتاح متحلة الغنيمي، ط1، مكتبة مديولي، 1994م، القاهرة، ص 238.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

انتشرت دعوة أبي القصبه في بلاد السوس والتف حوله جموع غفيرة، فأرسلت له حملات متتالية لكنه هزمها تباعا إلى أن قرر الناصر أن يجهز حملة كبيرة من الموحديين وبعض أصناف المقاتلين الأكفاء، وثار في الوقت نفسه قبائل المصامدة بالسوس ضد هذا الثائر، وقبل أن تصل حملة الناصر إلى أبي قصبه رفض منه معظم جموعه، وهزم وقتل منهم من وقف معه وقبض على الداعي وقتل، وكان مصرع أبي قصبه نهاية هذه الثورة وقد كانت هذه الأحداث في سنة 598هـ/1202م²⁸.

-المطلب الرابع: ثورة بني غانية (582هـ/1186م).

تعد ثورة بني غانية إحدى أكبر وأعنف الثورات التي عرفتھا الدولة الموحدية، فقد كان بنو غانية شوكة ضد الموحديين فقد كانوا من خيرة المجاهدين ضد القوى الصليبية واشتهروا بالغزو البحري لجنوب فرنسا وكاتالونيا، هادنوا الموحديين لبعض الوقت، ولما مات الخليفة الموحد يوسف بن عبد المؤمن واضطربت احوال الدولة الموحدية بعض الشيء استغل بنو غانية هذا الاضطراب واطهروا العصيان وخرجوا عن سياسة المهادنة، واستولوا على الأسطول الموحد الضخم عندما كان في زيارة الجزر الشرقية ثم خرجوا بأساطيلهم ورجلهم إلى المغرب الأوسط عام 581هـ/1185م، وتحالف بنو غانية مع قبائل بني سليم وبني هلال ومع المملوك بقيادة قرقوش . وشرع في ارسال الجيوش والحملات وقد فقد الألوف من جنوده ومن خيرة رجاله واستمرت هذه المعارك سنوات لكن في النهاية استطاع المنصور أن يسحق هذه الثورة العنيفة ويقبض على زعمائها وقاد العمليات العسكرية بنفسه عام 582هـ/1186م، واستطاع أن يوحد بلاد المغرب كلها غربھا وشرقھا، واستطاع المنصور أن يؤمن خط ظهره ويوحد الجبهة الداخلية وأعاد تنظيم البيت المغربي الموحد من الداخل وأمن خطر القبائل العربية ووظف طاقاتها في حربه في الأندلس، ولقد كان هذا العمل الحاسم القوي في توحيد الجبهة الداخلية سببا من أسباب انتصاره على النصارى في الأندلس وهذا ما يدل على عمق تفكيره الاستراتيجي وبعد نظره العسكري .

²⁸ ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 246-250.

- المبحث الثالث: أوضاع الممالك النصرانية والأندلس قبيل المعركة.

- المطلب الأول: ثورة القاضي ابن مروان بلنسية.

عندما انتهت أخبار قيام ابن حمدين بقرطبة، وقام أهلها بعقد البيعة له حتى اضطرب أهل بلنسية على المرابطين، وقد كان قاضيها ابن عبد العزيز أبو عبد الملك قد ولاه تاشفين بن علي فاجتمع القاضي المذكور مع والي المرابطين على بلنسية عبد الله بن علي بن غانية ثم اتفقا على نبذ الخلاف وقام القاضي مذكرا بمزايا معارك المرابطين.

وللتذكير فقد لعبت الوشاية دورا هاما " مشهود في تأليب الأمور والحرص على عدم استقرارها، فقد أوغر صدر عبد الله بن غانية على القاضي أبي عبد الملك فأخرج الوالي عياله ليجتمع أهل بلنسية على القاضي ولكنه أبي ثانية وأشار عليهم بأن يختاروا من يشاؤون من أشياخهم، فاتفقوا على من بقي من أمراء لمتونة بعد فرار عبد الله بن علي بن غانية "29، لكن سكان لمتونة كانوا يلاحظون أن قدرة ابن حمدين على القيادة وحمايتهم أصبحت مخيفة ومهددة لعرش سلطان المرابطين، بالإضافة إلى ذلك ما لبلنسية من مكانة عند الدولة المرابطية " لموقعها الدقيق على مقربة من الثغر الأعلى والممالك النصرانية، فكانوا لا يولونها إلا الصفوة من القرابة والخاصة "30، وهو ما جعل متولي أمر بلنسية من المرابطين على التفكير في القبض على ابن عبد العزيز ولكن دون جدوى.

بعد ما استخفى القاضي ابن عبد العزيز، إلى أن انفرد به ابن عياض قائد الثغر، وعبد الله بن مردنيش، وقالوا له: " هذا الأمر لا بد لك منه، والرأي المبادرة "31، فقبل ذلك وتمت مبايعته في الثالث من شوال.

لم يكن ابن عبد العزيز بدعا من قضاة الأندلس، بل وإن التلمساني يعدد لنا الثائرين في بلاد الأندلس فيذكر لنا ما كان من أيام القاضي الحكم بن حسون، قاضي مالقة، والقاضي عبد الرحمان بن رشيق بمرسية والقاضي أبي أمية قاضي أريولة، والقاضي ابن جزي الذي قام بالثورة على المرابطين في جيان³².

²⁹ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658هـ): الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، لبنان، ص 218-219.

³⁰ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدون عصر الطوائف الثاني (510هـ-546هـ/1116م-1151م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 84.

³¹ ابن الأبار: المصدر نفسه، ص 219.

³² ابن الخطيب التلمساني (ت 658هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 2، القاهرة، 1973م، ص 248-249.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

كانت هذه الثورات دليلا على استغلال القضاة والفقهاء للنفوذ الذي نالوه في الحقيقة برعاية مرابطية، وفي كنف الحكام المرابطين الذين كانوا كما يصفهم ابن أبي زرع بقوله: " كانت لمتونة قوما غلبت عليهم البداوة، وكانوا مع ذلك أهل دين متين وقام لهم بالمغرب والأندلس ملك عظيم، فعدلوا في أحكامهم وواظبوا على الجهاد"³³، ولذلك فإن رفعهم لشأن الفقهاء كان إيمانا منهم بأن هؤلاء هم المستشارون الذين ينبغي أن تسير الأمة في كنفهم.

حيث كان لزاما على دولة الموحدين التدخل وكان ذلك في عهد عبد المؤمن بن علي الذي ورغم انشغاله باستئصال المرابطين في المغرب حيث كان يراقب عن كثب تأزم الوضع في العدو الأندلسية، والتي كانت في تماس مباشر مع النصارى، ولذلك لم يكن هناك بد والحال هذه من المبادرة إلى إنقاذ الأندلس الإسلامية من جديد من طرف الموحدين.

- المطلب الثاني: ثورة ابن مردنيش (ذي الحجة 560هـ/أكتوبر 1165م).

تنازل ابن عبيد والي مرسية لابن مردنيش عليها في جمادى الأولى 542هـ/1148م، حيث حكم ابن مردنيش شرق الأندلس من بلنسية شمالا إلى قرطاجة جنوبا، ولكن دخول الأندلس في طاعة الموحدين ودخول الإمارات الأندلسية في طاعتهم إما طوعا أو كرها جعل ابن مردنيش يحقد عليهم فقد كان شخصية مخيفة ترعب أقرب الناس إليه.

ولردع هذه الثورة وإخمادها توجه الخليفة الموحي أبو يعقوب إلى الأندلس، ونزل بسبته وأرسل إلى أخيه عثمان (والي غرناطة) بأن يوجه الجند إلى مرسية، وقصد الخليفة إشبيلية وجيشه لملاقاة ابن مردنيش ، حيث التقت الجيوش الموحدية وقوات ابن مردنيش في سنة 560هـ/1165م التي كانت فيها موقعة الجلاب، وقد كان عسكر الإفرنج في جيشه حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل، " فهزم ابن مردنيش وقتل من معه من الإفرنج بأجمعهم " ، ويذهب المراكشي أن أخاه سعد ابن مردنيش الذي كان واليا لأخيه على بلنسية اجتمع رأيه ورأي أكابر ولد محمد ابن سعد على تسليم أمرهم لأبي يعقوب يوسف الموحي بل وإن الأمر تطور بين أبناء عبد المؤمن وأبناء وأهل ابن مردنيش إلى علاقة مصاهرة قوت أواصر الألفة بعد العداوة فقد كان لأبي عبد الله سعد ابن مردنيش بنات ((تزوج إحداهن أمير المؤمنين أبو يعقوب وتزوج الأخرى أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب ابن

³³ ابن أبي زرع (أبو الحسن علي الفاسي 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس، تحقيق: الفيلاي، د ط، دت، ص 166.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

يوسف ...)) ، ثم لبث الخليفة الموحيدي سنوات سبع وستين وثمان وستين وتسع وستين ورجع في آخر سنة 669هـ/1174م، وقد وحد جميع الجزيرة الأندلسية ولم يخرج عن طاعته منها شيء.

لقد كان لطول مواجهة ابن مردنيش للموحيدين رغم هزيمتهم له الأثر البالغ في نفوس الكثير من المتمردين في كلا العدوتين ذلك أنه بجزيمته للموحيدين وسيطرته على شرق الأندلس محا من الأذهان صورة قوة الموحيدين الرادعة في الأحوال والبلدان، مما سيكون له دور هام في ظهور المزيد من نار الفتنة في المغرب.

– المطلب الثالث: معركة الآرك (09 شعبان 591هـ/18 يوليو 1195م)³⁴.

صد الجيش الموحيدي حملات الصليبيين واستعاد مدينة شلب* بقيادة الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور سنة 586هـ/1190م، وقام بنشاط عسكري في عدة مناطق، ثم عاد هذا النشاط إلى اشبيلية في ربيع الثاني سنة 587هـ/1191م متجها نحو الشمال الغربي واستعاد قصر الفتح (قصر أبي دانس) ثم مدينة شلب، وعاد بعدها إلى اشبيلية* وأنفق مدة يشرف بنفسه على تنظيمات الأندلس المدنية والعسكرية.

وعند وفاة ألفونسو السابع ملك قشتالة سنة 552هـ/1158م خلفه ابنه شانجه الثالث في حكم قشتالة وابنه فرانده في حكم ليون ولما توفي شانجه الثالث في العام التالي ورثه ابنه الصغير الذي غدا حاكم قشتالة باسم الفونس (ألفونس الثامن) ، ولقبوه بالنبيل وجرت بينه وبين الموحيدين أحداث في الأندلس عقدت بعدها معاهدة بين الطرفين سنة 586هـ ومدتها خمس سنوات³⁵.

وبعد انتهاء المعاهدة مع الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة 590هـ/1194م بدأ هذا الأخير بمهاجمة الأندلس والعبث فيها، فأعد الموحدون حملة للتوجه إلى الأندلس وتم العبور إليها في جمادى الثانية 591هـ/1195م بقيادة الخليفة الموحيدي نفسه متجها إلى اشبيلية العاصمة للقاء جيوش ألفونسو الثامن³⁶.

³⁴ الأرك: alarcos بالاسبانية وهو حصن منيع يقع على حدود مملكة قشتالة مع الدولة الإسلامية الموحدية بالأندلس بمقربة من قلعة رباح أول حصون الأذفونش بالأندلس، الحميري، المصدر السابق، ص 13-14.

* شلب: تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي، غربي جنوب باجة وشمال غرب شتمرية عليها سور حصين، أنظر الحميري، المصدر نفسه، ص 106-107.

* إشبيلية: تقع جنوب غرب قرطبة على بعد 138 كلم اتخذها المرابطون والموحدون مركزا لهم في الأندلس وذلك لوفرة المياه بها وخصوبة أراضيها ووفرة منتجاتها الزراعية، الحميري، المصدر نفسه، ص 18-20.

³⁵ ابن الخطيب (لسان الدين السلماني الغرناطي ت 658هـ): المصدر السابق، ص 383.

³⁶ ملك قشتالة ويلقب بالنبيل، ورث عرش قشتالة عن أبيه صانشو وعمره لا يتجاوز أربعة عشر في 1169م، تميز بعدائه للمسلمين ورغبته في غزو أراضيهم، انظر: عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 587-588.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

وفي هذا يروي المقرئ في نفح الطيب: (ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها إلا القليل خرجت طائفة من الإفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فضيعا فانتهى الخبر إلى أبي يوسف يعقوب فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة ومعسكر مكتبة واحتفل في ذلك وجاز إلى الأندلس سنة 591هـ/1195م فعلم به الإفرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانوها وأقبلوا نحوه)³⁷.

تجهز ألفونسو الثامن ملك قشتالة للقاء الجيش الموحدى منذ سماعه بمرور الموحدين وطلب العون من ملكي ليون ونبار، وسار مسرعا ونزل في الأرك نقطة الحدود بين قشتالة³⁸ والأندلس ونزل الخليفة الموحدى قريبا من المعسكر القشتالي، وكانت جموع القشتاليين كبيرة واختلفت الروايات في تقديرها ويذكر ابن عميرة الضبي في كتابه بغية الملتمس أن جيش ألفونسو الثامن " كان ينيف على خمسة وعشرين ألف فارس ومائتي ألف رجل، وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لشراء أسرى المسلمين وأعدوا أموالا، فهزمهم الله تعالى " ³⁹.

ويذكر عبد الواحد المراكشي ذلك في كتابه المعجب فيقول: (وكان الأذنفش قد جمع جموعا لم يجتمع له مثلها قط، فلما تراءى الجمعان اشتد خوف الموحدين وساءت ظنونهم لما رأوا من كثرة عددهم وأمير المؤمنين في ذلك لا مستند له إلا الدعاء والاستعانة بكل من يظن عنده خيرا من الصالحين.... فلما كان يوم الأربعاء وهو الثالث من شهر شعبان من سنة 591هـ/1195م التقى المسلمون عدوهم⁴⁰ .

بدأ الموحدون والنصارى قبيل نشوب المعركة بينهما يرسلون جنودا وفرسانا كجواسيس للتجسس كل طرف على معسكر الطرف الآخر فاكتشف الموحدون جنودا نصرانيين على مقربة من معسكرهم فغاروا عليهم وقضوا عليهم.

بعدها استشار الخليفة يعقوب كبار القادة الموحدين والأندلسيين في رسم خطة للقتال، ثم اختص أهل الأندلس بمزيد من المشور وقال لهم: (إن جميع من استشرته وإن كانوا أولي بأس ومعرفة بالحرب لكنهم لا يعرفون من قتال الإفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم، فأحاله في الرأي على القائد ان صناديد فعول المنصور في ذلك على رأيه)⁴¹.

³⁷ المقرئ (أحمد بن محمد ت 1041هـ): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968هـ، ج4، ص 381.

³⁸ قشتالة: هي كل البلاد الواقعة شمال جبال الشارات وهي أعظم مملكة من بين الممالك المسيحية في الأندلس، أنظر الحميري، المصدر السابق، ص 48-47.

³⁹ الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت 599هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، د ط، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص 45-46.

⁴⁰ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 359.

⁴¹ السلاوي (محمد بن خالد الناصري ت 1315هـ/1897م)، المرجع السابق، ج2، ص 167-168.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

فاعتمد المنصور على خطة ابن صناديد وانصرف إثر ذلك إلى العمل على تنفيذها دون تردد ففي يوم السبت الخامس من شهر شعبان 591هـ/1195م جلس في قبته الحمراء الكبرى المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على الجيش قائدا عاما وعقد له الراية الكبرى وعقد الرايات للقادة وأحاط كلا منهم علما بالمهمات التي تنتظره، وأمر الشيخ أبي يحيى بالرحيل والتقدم أمامه إلى جهة العدو فتحرك بقبيلته هنتانة في الطليعة وبين يديه القائد ابن صناديد وجيش الأندلس وتبعه بقية الجيش كل قبيلة وعلى رأسها قائدها وبقي المنصور في جيش الموحدين والعبيد، وسار الجيش نحو حصن الأرك على هذا الترتيب فنزل الشيخ أبو يحيى في السهل المنبسط صحوة يوم الأربعاء الثامن من شهر شعبان سنة 591هـ/1195م ، وأقام القشتاليون معسكرهم على ربوة عالية مجاورة لحصن الأرك ذات مهاد وأحجار كبيرة⁴².

نشبت المعركة في التاسع من شهر شعبان 591هـ/ 19 يوليو 1195م فقد قام الفرسان النصارى بثلاث هجمات متتالية لاخترق صفوف الموحدين وقد تصدى لهم حملة الرماح الطويلة حتى أصابوا صدور خيلهم وارتد الفرسان والنصارى مرتين إلى معسكرهم في سفح التل⁴³.

أعاد الفرسان النصارى تنظيم صفوفهم وقرروا الهجوم على القلب لاعتقادهم أنه القسم الذي يقوده الخليفة الموحدى فاندفعوا نحوه بكل قوة يهاجمون ويقتلون فاستشهد القائد العام الشيخ أبو يحيى وجماعة من هنتانة والمطوعة ثم تقدمت قبائل العرب والأغزاز والجند الأندلسي فأحاطوا بالفرسان النصارى حتى أبادوا معظمهم واضطر الباقي إلى الفرار نحو محلثهم في سفح التل⁴⁴.

وفي هذا يروي ابن الأثير في كتابه الكامل: (التقوا في التاسع من شهر شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رياح بمكان يعرف بمرج الحديد.....فاقتتلوا قتالا شديدافكانت الدائرة أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فانهمزوا أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم.....وكان عدد من قتل من الإفرنج مائة وستة وأربعين ألفا وأسر ثلاثة عشر ألفا وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما من الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا.....ومن الخيل ستة وأربعون ألفا.....ومن البغال مائة ألفا ومن الحمير مائة ألفا.....، كان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاحوأحصى ما حمل إليه منه فكان زيادة على سبعين ألفا لبس وقتل من المسلمين نحو عشرين ألفا⁴⁵.

⁴² صالح الأشر: معركة الأرك 591هـ/1195م، د ط، دار الشرق العربي، بيروت، 1998م، ص 51-57.

⁴³ السلاوي: الرجع السابق، ص 169-170.

⁴⁴ السلاوي: المرجع نفسه، ص 170.

⁴⁵ ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري): الكامل في التاريخ، د ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966م، ج12، ص 48.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

وكان رد النصارى على هزيمة الأرك بأن جمعوا جيوشا أخرى لقتال الموحدين لكن يعقوب المنصور تمكن من هزيمتهم ودحر جيوشهم ففي ذلك يقول ابن الأثير: (أما الفتح فإنه انهزم حلق رأسه ونكس صليبه وركب حماره وأقسم أن لا يركب فرسا ولا نعلا حتى تنتصر النصرانية.....فجمع جموعا عظيمة وبلغ ذلك إلى يعقوب فأرسل إلى المغرب يستنفر الناس من غير إكراه فأتاه من المتطوعة جمع عظيم⁴⁶.

في منتصف رجب 592هـ/ أبريل 1196م خرج الخليفة المنصور من اشبيلية وكانت طليعة الجيوش تتألف من الجند الأندلسي بقيادة أبي عبد الله ابن صناديد فغزا حصن متنا نجش وضرب الحصار عليه ثم وصل الخليفة ببقية الجيش في اليوم الثاني فعرض النصارى التنازل عن الحصن مقابل الأمان فوافق الخليفة وكان لهذا الفتح صدق في مسامحة النصارى المجاورين حيث تخلى أهل مدينة ترجالة عنها دون أن يصل إليها الموحدون⁴⁷.

حفت الأخطار حول ملك قشتالة فسعى لعقد صلح أو هدنة مع الخليفة المنصور بأي ثمن لكن الخليفة رفض ذلك وقرر في جمادى الثانية 593هـ/1197م أن يسير من اشبيلية إلى قرطبة فقسم فيها جيشه ورتبه من أجل الغزو قاصدا طلبيرة، فلما عبر الحدود وفدت إليه رسل ملك قشتالة ثانية يعرضون عليه الصلح والهدنة لكنه أمر بصرف السفراء دون مقابلتهم⁴⁸.

صار الخليفة يعقوب نحو مكادة فحاصرها مدة من الزمن ثم علم أن ملك قشتالة وملك ارغون قد اجتمعا بقواتهما في حصن مجريط من أجل قتال الموحدين، فأقلع حينئذ من حصار مكادة وتوجه نحو حصن مجريط من أجل قتال جيوش النصارى لكنهم فروا عندما سمعوا بذلك فسار الخليفة نحو قلعة هنارس ثم وادي الحجارة، ثم عاد إلى اشبيلية ولم يعاود الغزو بعد ذلك حتى وافته المنية⁴⁹.

ولكن استمر توسل ملوك النصارى إلى الخليفة بشتى الطرق والوسائل لكي يجيبهم إلى الصلح لكنه رفض مرارا وتكرارا، وفي الأخير استجاب لمطلبهم وعقد معاهدة صلح مع ملك قشتالة حيث علق على هذه المعاهدة أو كلاهان بقوله: (إن الخليفة المنصور بموافقتة على عقد معاهدة صلح قد قدم منحة ثمينة لملك قشتالة) لكن السبب الذي جعل الخليفة المنصور يعقد هذه المعاهدة والصلح رغم تفوقه العسكري وضعف أعدائه أمامه هو ثورة بني غانية واستفحال أمرهم بإفريقية⁵⁰.

⁴⁶ ابن الأثير : نفسه، ص 48.

⁴⁷ هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، عمان، الأردن، 1984م، ص 264.

⁴⁸ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق 2، ص 221.

⁴⁹ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 373.

⁵⁰ هشام أبو رميلة : المرجع نفسه، ص 253.

الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

توفي الخليفة المنصور ليلة الجمعة 22 ربيع الثاني 595هـ/ 22 يناير 1199م وخلفه ابنه محمد الناصر وكان الخليفة المنصور قد أوصى باليتيمة والأيتام فسئل عما يقصد فقال اليتيمة هي جزيرة الأندلس والأيتام هم سكانها المسلمون⁵¹. لكن الأحداث القادمة سوف تظهر مدى التزام الخليفة المنصور بوصية والده حول الأندلس وسكانها المسلمون وبصفة عامة قد ترتب على موقعة الأرك نتائج آنية تلخصت في القضاء على جيوش الممالك النصرانية وجعلتها تحتاج إلى عدة سنوات لكي تنهض من كبوتها لكي تستعيد مكانتها كما جعلت الخوف يدخل نفوس الممالك الأخرى وجعل جميعها يهرول ويسرع إلى عقد الصلح والهدنة ودفع أتاوات باهظة مقابل الحماية.

⁵¹ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 273.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

المبحث الأول: أسباب المعركة، التحضير ومجريات المعركة.

المطلب الأول: أسباب معركة حصن العقاب 609هـ/1212م.

المطلب الثاني: الجيش الموحد وتحويله للمعركة من الطرفين.

المطلب الثالث: الجيوش النصرانية وتحضيراتها للمعركة.

المطلب الرابع: مجريات ووقائع معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

المبحث الثاني: أسباب هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

المطلب الأول: استبداد الخليفة الناصر برأيه.

المطلب الثاني: طول فترة حصار شلييطرة.

المطلب الثالث: قتل ابن قادس.

المطلب الرابع: تأثير ابن جامع على الخليفة في قراراته.

المطلب الخامس: غرور الخليفة الناصر بعدد جيوشه.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

- الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

عرفت الدولة الموحدية في عهدها بالقوة السياسية والعسكرية، والنمو في كل المجالات وانتصاراتها المتتالية في كل الغزوات، لكن كل هذه الانجازات ما لبثت أن انصدمت بمعركة تعتبر الأكبر في تاريخ العصر الوسيط، وسنستعرض في هذا الفصل أسباب معركة حصن العقاب وكيف كانت وقائعها.

- المبحث الأول: أسباب المعركة، التحضير ومجريات المعركة.

المطلب الأول: أسباب معركة حصن العقاب 609هـ/1212م.

لقد ظلت معركة الأرك (509هـ/1193م) من المعارك التي تركت آثارا عميقة في نفوس النصارى وخالدة في صفوف المسلمين، نظرا للهزيمة الساحقة التي حققها المسلمون تجاه النصارى والخسائر التي كبدت جيوش النصارى، لا سيما ملك قشتالة ألفونسو الثامن لم يتحمل هذه الهزيمة النكراء وأخذ يعد العدة من أجل الانتقام لما حدث في هذه المعركة.

حيث استغل ألفونسو الثامن وفاة يعقوب المنصور سنة 595هـ وانشغال ابنه محمد الناصر من بعده بمشاكل إفريقية والمغرب عن سير الحوادث في الأندلس⁵²، فبدأ ألفونسو الثامن بتجهيز جيشه لمحاربة المسلمين، فقام بتوثيق عهوده مع ملكي نافارا وأراغون وحصل على وعد بتأييده ومساعدته بالجنود لقمع الموحدين في حالة الخطر لمواجهة المسلمين، فعزم ألفونسو الثامن على محو عار هزيمة الأرك للنصارى بإحراز نصر على الموحدين، وبعد أن حصن قلعة مورا الواقعة على الحدود مع المسلمين تحصينا قويا سنة 1209م⁵³، وقبل أن تنتهي مدة الهدنة التي عقدها مع الموحدين في أيام المنصور بدأ سنة 606هـ / 1209م بمهاجمة أراضي المسلمين بالأندلس، فقام بغارات مدمرة في منطقة جيان⁵⁴ وبياسة⁵⁵ وأندوجر، ووصل حتى إلى أحواز مرسية، فقتل وأسر ودمر وأحرق المنازل والحقول، ثم عاد إلى طليطلة عاصمة مملكته مثقلا بالغنائم وكان ذلك خلال سنة (1209م -

⁵² محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص 283.

⁵³ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ج2، ط2، القاهرة، 1417هـ/1996، ص 108.

⁵⁴ جيان : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل ولها بالتقريب ثلاثة آلاف قرية، الحميري: المصدر السابق، ص 70.

⁵⁵ بياسة: بينها وبين جيان عشرون ميلا مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات كثيرة، الحميري، المصدر نفسه، ص 57.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

1210م)⁵⁶، وترك وراءه خسائر كبيرة للمسلمين، ولم يعير الرسل التي أرسلهم الخليفة الموحد أي اهتمام على خرق الهدنة التي عقدت بينهما.

كما ساعده في ذلك بيدرو الثاني ملك أراغون في الإغارة على أراضي المسلمين في الأندلس، والذي قام هو الآخر بغارات مدمرة على أراضي بلنسية، والذي نتج عنها خسائر كبيرة وعاث فسادا بها واستولى على عدة قلاع في المنطقة الشمالية في تلك المناطق⁵⁷.

وما ترتب عن غارات واعتداءات النصارى المتكرر على بلاد المسلمين وخرق ألفونسو الثامن للهدنة المبرمة بين النصارى والمسلمين والخسائر التي تكبدها المسلمون جراء هذه الغارات أين استنجد أهل الأندلس بالناصر بأن يساعدهم ويصد غارات النصارى التي دمرت بلادهم، وهو ما كان لهم أين قرر الناصر الاستجابة لداعي الجهاد، وأخذ بالاستعدادات من خلال تحضير الجيش وكتابة رسله إلى سائر أنحاء المغرب وإفريقية وبلاد القبلة باستنفاذ الناس إلى الجهاد.

- المطلب الثاني: الجيش الموحدى وتحضيره للمعركة.

لقد كان الجيش الموحدى القوة الضاربة للدولة الموحدية ضد الأعداء سواء النصارى أو المرابطين، حيث نجد أن نظام الطبقات الذي وضعه ابن تومرت وإن كان نظاما سياسيا إلا أنه كان ذا استغلال سياسي تجاري ممكنه من السيطرة على القبائل، كما كان هذا النظام التجاري الذي كانت تقوم به هذه الطبقات معززا لموقف ابن تومرت، كما يظهر ذلك من خلال إخبار ابن تومرت أتباعه بأمر تحدث حتى بينهم.

وهذا ما جعل أهل الطبقات يعملون عيوننا وجواسيس له بعضهم على بعض ويوافقونه بكل صغيرة وكبيرة مما يقع حوله أو ما يصلهم من أنباء، مما جعله مطلعاً على كل شيء على كل الأمور.

كما لعبت الطبيعة الجبلية للمصامدة الذين قامت على كاهلهم دعوة الموحدين أول الأمر، حيث لعبت تلك الطبيعة دوراً أساسياً في تحديد الأسلوب الغالب على الموحدين في قتالهم لأعدائهم على خلاف المرابطين.

عندما أعلن الناصر الجهاد ضد النصارى المعتدين على بلاد الأندلس⁵⁸ والمسلمين، أخذ بالاستعداد وذلك بإرسال الكتب إلى سائر أنحاء المغرب وإفريقية وبلاد القبلة باستنفاذ الناس إلى الجهاد فاستجابت سائر الجهات والقبائل إلى دعوة الناصر، وكتب هذا الأخير إلى ولاية قرطبة وإشبيلية بالتحضير للغزو والجهاد وذلك بحشد الجنود وإعداد المؤمن وتمهيد السبل في جميع المناطق وتدعيمها من السلاح والكسى والمؤونة، وقام الناصر بشد

⁵⁶ يوسف أشباخ : المرجع نفسه، ص 107، أنظر محمد منير الجمباز: معارك إسلامية خالدة من بدر حتى خروزي، ط 2، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، 1428هـ/2008م، ص 145.

⁵⁷ ابن عذاري: المرجع السابق، ج3، ص 234، أنظر محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ع3، ق2، ص 275، المرجع السابق، ص 203.

⁵⁸ ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 249.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

السفن من سائر أنحاء البلاد لعبور الجيوش الموحدية إلى الأندلس، وللتذكير فقد شكل الأسطول الموحدى رافدا من روافد القوة العسكرية في غرب المتوسط حيث كان لانهباء المرابطين ترك فراغ فيه، مما جعل الموحدين جاهدين للعمل على تقوية شوكتهم البحرية، وهذا ما يفسر تفوق قوتهم البحرية عند انتقال الحكم إليهم، كما زادت عنايتهم بالأسطول خصوصا عند سقوط الميرية سنة 542هـ/1147م⁵⁹، إذ أمر عبد المؤمن " بإنشاء القطائع في سواحل العدو والأندلس، فصنع منها زهاء مائتي قطعة أعد منها في مرسى المعمورة بحلق البحر على واد سبو بمقربة من سلا مائة وعشرون قطعة، وقفت عليها وعددها بالمرسى المذكور وأعد الباقي العدد الذي ذكرته في أرياف العدو والأندلس وأمر بكتب الرجال والرؤساء الأبطال لعمارتها والقيام بحمايتها والنظر في آياتها، وهذا ما يدل على أن الموحدين إهتموا كثيرا بالسياسة الحربية والبحرية كجزء لا يتجزأ من القوة العسكرية الموحدية.

استمر عبور السفن بضعة أسابيع وركب الناصر البحر باتجاه الأندلس يوم الإثنين أول شهر ذي الحجة من سنة 607هـ الموافق للعاشر من مايو سنة 1211م، ونزل بجزيرة طريف وأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار الناصر بجيوشه الكبيرة إلى إشبيلية فوصلها يوم الاثنين منتصف ذي الحجة من سنة 607هـ الموافق لأواخر مايو من سنة 1211م وتم استقرار الجيوش الموحدية بمنطقة الحاضرة الأندلسية⁶⁰.

ذكر صاحب الروض القرطاس بعبور الناصر إلى الأندلس في قوله: " واهترت جميع بلاد الروم بجوازه، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم وأخذوا بتحسين بلادهم، وإخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم، وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفو⁶¹.

عندما استكمل الناصر حشد قواته وجنوده وتوفير المؤمن والإمدادات من سائر الجهات وأصبحت الجيوش الموحدية في أهبة الاستعداد من جميع النواحي شرع الناصر في التحرك فخرج إلى إشبيلية بجيوش من الموحدين والعرب وأهل الأندلس والأغزاز وغيرهم من طوائف الجند وكان خروجه من حاضرة الأندلس في الأيام الأولى من سنة 608هـ الموافق لأواخر يوليو سنة 1211م، وسار جنوبي الوادي متجها نحو قرطبة ثم سار منها إلى جيان وبياسة، ثم سار شمالا نحو قلعة شليبيطة⁶² حيث تقع هذه القلعة على مقربة من جبال الشارات وكانت من أكبر القلاع في تلك الناحية.

كان بدء الحملة من قلعة شليبيطة كون هذه الأخيرة كانت جناحا لإغارة النصرانيين على البلاد

الإسلامية.

⁵⁹ توفيق مزاري عبد الصمد: النشاط البحري في الغرب الإسلامي، منشورات دار الثقافة، حسن حسني، ط 2010، ص 87.

⁶⁰ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 287، أنظر، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج 2، ص 108.

⁶¹ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج 2، ص 155.

⁶² شليبيطة أو سلفيتيرة بالاسبانية: من حصون بلاد الأندلس ومن أعمال قلعة رباح، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 106.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

تم محاصرة قلعة شليبيطة ذات الحصون المنيعة طوال الصيف حتى حل الشتاء ودام الحصار حوالي ثمانية أشهر وضرب الموحدون هذه القلعة بالمجانيق الكبيرة والحجارة الضخمة والسهام والنبال، مما اضطر النصرانيين إلى تسليم القلعة للموحدين مقابل سلامة الحامية النصرانية بها، وفتح الموحدون قلعة شليبيطة في أواخر ربيع الأول من سنة 608هـ الموافق لأواخر أغسطس من سنة 1211م⁶³.

بعد استكمال فتح قلعة شليبيطة رع الناصر إلى اشبيلية، وفي هذا الصدد يقول صاحب الروض المعطار أن الناصر بعد ان فتح القلعة المذكور: " رجع إلى اشبيلية ظافرا غانما "64.

بعد فترة الراحة لجيوش الموحدين من فتح قلعة شليبيطة، خرج الناصر بجيوشه من إشبيلية في 609هـ الموافق لـ 23 يونيو سنة 1212م متجها نحو جيان من أجل لقاء النصارى⁶⁵، واستقر الناصر ببيان عدة أيام منتظرا عبور النهر، ووقف على ما وقع من الأحداث على حدود دولته من سقوط قلعة رباح، وما حدث من تصدع داخل معسكر النصرانيين⁶⁶.

استطاع ألفونسو الثامن ملك قشتالة وقائد جيوش النصارى أن يستولي على قلعة رباح والتي تعتبر من أكبر وأمنع القواعد الإسلامية في تلك المنطقة التي هاجمتها الجيوش النصرانية والتي ضربت عليها الحصار في 609هـ الموافق لـ 30 يونيو سنة 1212م، حيث دافعت الجيوش الإسلامية بها بكل بسالة عنها إلا أن قائدها الأندلسي ابن قانس أقم معاهدة مع النصارى تقضي بتسليم القلعة للنصارى مقابل ضمان خروج الحامية الإسلامية منها بسلام دون أن يمسهم أي أذى، وهو ما حصل فعلا وأنقذ ابن قانس أرواح المسلمين من بطش النصارى.

أدت السيطرة على قلعة رباح إلى حدوث خلاف وانشقاق بين القشتاليين وحلفائهم الوافدين، وذلك إذ أن الوافدين الصليبيين رأوا في ترك المسلمين يذهبون من القلعة دون قتلهم لا مبرر له ولا يتفق مع أغراض الحرب الصليبية، وهذا ما أدى إلى رجوع الكثير منهم إلى أراضيهم حيث قدر من غادر المعسكر القشتالي بحوالي خمسين ألف مقاتل وهذا ما جعل جيش المسلمين أكثر بكثير من جيوش النصارى بعد انسحابهم⁶⁷، ويقول في هذا الصدد المراكشي حول سقوط القلعة: " فَسَلِمَ إليه المسلمون الذين بها بعد أن أمنهم على أنفسهم فرجع على

⁶³ الحميري: المصدر السابق، ص 157، أما عن ابن عذارى يرى أن فتح قلعة شليبيطة كان في شهر ربيع الثاني من سنة 608هـ، أنظر ابن عذارى: المصدر السابق، ص 238.

⁶⁴ الحميري: نفسه، ص 138.

⁶⁵ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 292.

⁶⁶ السلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 229.

⁶⁷ يوسف أشباح: المرجع نفسه، ج 2، ص 362-363.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

الأدفش لعنه الله بهذا السبب من الروم جموع كثيرة، حيث منعهم من قتل المسلمين الذين كانوا بالقلعة المذكورة، وقالوا إنما جئت لتفتح بنا البلاد وتمنعنا من الغزو وقتل المسلمين مالنا في صحبتك من حاجة على هذا الوجه"⁶⁸.

بعد ذلك سار حاكم قلعة رباح ابن قادس إلى الناصر في جيان هو وصهره ليقض أمره على الخليفة فمنعه الوزير ابي سعيد ابن جامع عن ذلك وصوره للخليفة أسوء تصوير، كما اتهمه بخيانة الاسلام والمسلمين وبتسليم القلعة للنصارى، فأمر الخليفة الناصر بإعدامه هو وصهره دون أن يستمع إليهما أو أن يوضحا له الأمر فأعدمهما طعنا بالرماح⁶⁹.

واصل جيش الموحدين سيره للقاء النصرانيين، وكانت الجيوش الموحدية مقسمة إلى وحدات عنصرية وقبلية، فكانت هناك خمسة أقسام، حيث يتكون القسم الأول من طوائف العرب والقسم الثاني من الطوائف المغربية مثل صنهاجة وزناتة، والمصامدة وغمارة وغيرها أم القسم الثالث من الجنود المتطوعة، والقسم الرابع من جند الموحدين النظامية، والقسم الخامس والأخير من جنود الأندلس⁷⁰.

ذكر صاحب الروض القرطاس عن عدد جيوش الموحدين التي كانت تحت امرأة الخليفة الناصر كبيرة في أعدادها: "إن الناصر قد خرج في جيوش لا تحصى وأمم كالجراد المنتشر قد ملأت السهل والوعر وضاق بهم المتسع والنجد والغور..."، ثم قدم لنا بالتقريب عدد جيوش الخليفة الناصر حيث بلغ عدد المتطوعة مائة وستين ألف مقاتل بين فارس وراجل، وبلغ عدد الرجال المحشودين ثلاثمائة ألف راجل، وبلغ عدد العبيد الذين يمشون بين يدي الخليفة بالحرب ويدورون حوله ثلاثون ألف عبد، ومن الرماة والأغزاز عشرة آلاف مقاتل هذا ناهيك عن المرتزقة من الموحدين وزناتة والعرب وغيرهم، وبذلك نجد أن عدد جيوش الموحدين بلغت خمسمائة ألف مقاتل غير المرتزقة⁷¹ بينما نجد في رواية أخرى أن جيوش الموحدين كانت في حدود ستمائة ألف مقاتل⁷².

عبرت الجيوش الموحدية المدججة بالمقاتلين نهر الوادي الكبير متجهة صوب بياسة وأبدة⁷³، ونزلت الجيوش عبر ممر لوسا الوعر في بسيط والذي يسمى بالمرشة وقرر الخليفة الناصر أن يصمد في هذا المكان للقاء الجيوش النصرانية⁷⁴.

- المطلب الثالث: الجيوش النصرانية وتحضيراتها للمعركة.

⁶⁸ عبد الواحد المراكشي: المعجب، أنظر: السلاوي، المصدر السابق، ص 222.

⁶⁹ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ج 2، ص 232، انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 249.

⁷⁰ الصلاحي: المرجع السابق، ص 203، انظر محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع 3، ق 2، ص 300-301.

⁷¹ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 155-160.

⁷² المقرئ: المصدر السابق، ج 2، ص 538، انظر: محمد منير الجمباز، المرجع السابق، ص 145.

⁷³ أبدة: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة أميال وهي مدينة صغيرة تقع على مقربة من النهر الكبير، الحميري: المصدر السابق، ص 15.

⁷⁴ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 301.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

عند عبور الخليفة الناصر بجيوشه الكبيرة إلى الأندلس في شهر مايو 608 هـ/1211م⁷⁵ اهتزت كل بلاد الروم لهذا واستنفرت الممالك النصرانية بالأندلس وأخذت في تحصين نفسها وبلادها وتعد بكل ما تستطيع من قوات واستعدادات لمواجهة الجيوش الموحدية والخطر الإسلامي الذي يهدد وجودها، فأخذ الإسبان النصارى يستعدون لمواجهة الخطر الموحدى وعلى رأسهم مملكة قشتالة، حيث لعب ملكها ألفونسو الثامن دورا كبيرا في إشعال الحرب والتحضير لها وأضفى صبغة الحرب الصليبية المقدسة عليها⁷⁶.

قام ملك قشتالة جوهارد بإرسال أسقف أسقوية إلى البابا إنوسان الثالث⁷⁷ يترجاه إن يرسل إلى أمم أوروبا النصرانية من أجل تقديم الدعم، وتجهيز حملة صليبية تجاه المسلمين في الأندلس، كما أرسل أيضا رديك مطران طليطلة وعدد آخر من الأحرار إلى فرنسا وإلى الأمم الواقعة في شرقها وفي الوقت الذي كان فيه البابا ومطران طليطلة يسعيان إلى الحصول على مساعدة ودعم أوروبا النصرانية ضد مسلمي الأندلس كان الملك ألفونسو الثامن يعمل على جمع كلمة ملوك النصارى في الأندلس ضد الموحدين، ودعى جميع قادة وملوك النصارى إلى عقد اجتماع في قونية والذين أكدوا على تقديم الدعم من مال وجند للقضاء على الموحدين.

وفي سنة 609هـ/1212م اجتمع في قشتالة من المحاربين الصليبيين الذين هرعوا من مختلف أصقاع أوروبا لمعاونة الممالك النصرانية في الأندلس ضد جيوش المسلمين وجاء زهاء ألفين من البارونات مع حاشياتهم، وعشرة آلاف من الفرسان المقاتلين وخمسين ألف من الرجال، وبلغت هذه الوفود الصليبية المختلفة حوالي سبعين ألف مقاتل لتقديم الدعم إلى الجيوش النصرانية بالأندلس، وتلقى ملك قشتالة فوق ذلك مقادير عظيمة من الأموال والسلاح والمؤونة أرسلت له من كل أنحاء فرنسا وإيطاليا وغير من بلاد النصارى⁷⁸.

لقد ضمت جيوش النصارى في الأندلس جيوشا من قشتالة و أراغون و نافارا وليون ومن إمدادات من جليقية والبرتغال، حيث بلغت القوات الصليبية الوافدة إلى الأندلس سنة 609هـ/1212م أكثر من عشرة آلاف فارس ومائة ألف من الرجال⁷⁹، وأمر البابا إنوسان الثالث في روما بالصوم ثلاثة أيام إلتماسا لانتصار الجيوش النصرانية في الأندلس على المسلمين، وأقيمت الصلوات العامة وعمد رجال الدين والرهبان والراهبات إلى ارتداء السواد والسير حفاة، وكما سارت المواكب الدينية في الطرقات خاضعة متمهلة من كنيسة إلى أخرى، وألقى البابا

⁷⁵ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 399، انظر محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص 287.

⁷⁶ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 155.

⁷⁷ إنوسان الثالث: (1160-1216م/550-613هـ) ولد في أجناني بإيطاليا من أبرز بابوات العصور الوسطى عرف عنه النشاط الكثيف من أجل إعادة إحياء قوة السلطة البابوية حيث عمل بجهد لفر سيطرتها على العديد من الممالك المسيحية التي كانت خارجة عنه عن طريق سن القوانين والشرائع وكان متحمسا جدا لفكرة الحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 198.

⁷⁸ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 294.

⁷⁹ شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ، دط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1990، ص 109.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

بنفسه موعظة صليبية حث فيها النصارى أن يتضرعوا إلى الله التماسا منه لنصرة الجيش النصراني على جيوش المسلمين.

ذكرت معظم الروايات الإسلامية الاستعدادات الكبيرة لجيوش النصارى والدعم الذي سعى إلى تجهيزه ملك قشتالة ألفونسو الثامن، حيث يقول المراكشي في هذا الصدد: " وخرج الأذفندش لعنة الله عليه إلى قاصبة بلاد الروم مستنفرا من أجابه من عظماء الروم، وفرسانهم وذوي النجدة منهم فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن الألمان، حتى بلغ نفيده إلى القسطنطينية، وجاء معه صاحب بلاد أرغن المعروف بالبرشانوني لعنة الله"80.

يمكن القول أن الملك ألفونسو الثامن استطاع أن يحشد قوات كبيرة نصرانية وأن يصبغ على الحرب قدسيته وأن هذه الحرب هي حرب دين.

احتشدت هذه القوات النصرانية الكبيرة في طليطلة عاصمة مملكة قشتالة، وكانت طليطلة تعيش في ذلك الوقت حركة كبيرة من خلال قدوم كم هائل من المحاربين من كل الممالك النصرانية والتي لم تستطع المدينة استيعابهم نظرا للعدد الكبير المتوافد على المدينة، وفي شهر يونيو من سنة 1212م خرجت الجيوش النصرانية من طليطلة متجهة نحو الجنوب، حيث قسمت إلى ثلاثة جيوش رئيسية كان الأول جيش الطليعة ويتألف من قوات الوافدين وقد قدر في بعض الروايات بستين ألف مقاتل، وقدره البعض بمائة ألف مقاتل وكان يقوده القائد القشتالي ديولوجوبيت دي هارو، والجيش الثاني يتألف من قوات أراغون وقطلونية وفرسان الداوية⁸¹، ويقوده بيدرو الثاني ملك أراغون والجيش الثالث يتكون من القوات القشتالية وليون والبرتغال وشتت ياقب والإستبارية⁸² ويقوده الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة.

سارت القوات النصرانية باتجاه الأراضي الإسلامية فوصلت طلائعها في 24 يونيو 609هـ/1212م إلى حصن ملجون، وهو يعتبر من حصون الدولة الإسلامية فتم الإستيلاء عليه واستمرت الجيوش النصرانية في السير والزحف نحو قلعة رباح أكبر وأمنع الحصون الإسلامية في تلك المنطقة، فهاجمها النصارى في 30 يونيو 609هـ/1212م وحاصروا القلعة حتى تم عقد الاتفاق بموجبه تسليم القلعة وفي المقابل ترك الحامية الإسلامية تذهب إلى

⁸⁰ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 182.

⁸¹ الداوية من أشهر الحركات الدينية في العصور الوسطى كانت تتكون من جماعات الفرسان الدينية وتعتهم المصادر الإسلامية بالداوية بينما تدعوهم المصادر الأجنبية باسم فرسان المعبد لأنهم اتخذوا من أحد معابد بيت المقدس مركزا لهم بعد استيلائهم عليه، جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، أنظر، ساعد بن عبد الله البشري: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، مجلة أم القرى، العدد 7، السعودية، 1992م، ص 191-192.

⁸² الإستبارية: هي طائفة عسكرية دينية مسيحية كاثوليكية أوروبية أنشأت سنة 1070م كما أنهم في الأصل كانوا يقومون باستقبال الحجاج في بيت المقدس وإيوائهم وكانت لهم أماكن ضيافة، انظر، ساعد بن عبد الله البشري: المرجع نفسه، ص 191-192.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

وجهتها حيث ما شاءت، وهذا ما حدث فعلا حيث استولى ملك قشتالة ألفونسو الثامن على هذا الحصن الإسلامي الكبير بأقل خسائر وأقل فترة وبسرعة كبيرة⁸³.

لقد أدى الاستيلاء على قلعة رباح خلافا كبيرا بين الممالك النصرانية وحدث بين القشتاليين والنصارى الوافدين خلاف كبير، وذلك لأن الوافدين النصرانيين الصليبيين رأوا أن إفلات الحامية الإسلامية من القلعة أحياء غير مقبول وهو معارض مع مبادئ الحروب الصليبية ضد المسلمين التي تنص على إبادة المسلمين، فأدى هذا إلى رجوع حشود كبيرة من المقاتلين إلى بلادهم، وقد قُدر عدد المغادرين لمعسكرات النصارى القشتالية حوالي خمسين ألف مقاتل⁸⁴.

ومع رجوع المقاتلين النصارى إلى بلدانهم استطاع ملك قشتالة ألفونسو الثامن أن يتدارك ما حدث بالمعسكر القشتالي، وينظم صفوفه مرة أخرى من جديد، واستأنفت الجيوش النصرانية سيرها نحو الأراضي الإسلامية ومرت على شلبيطرة ولم تتعرض لها، حتى وصلت قواتها إلى مرتفعات جبال الشارات أو ما تسمى بجبال سيرامورينا، واحتلت البسط العلوي المقفر المسمى ممر مورداو وكان ذلك 13 يوليو سنة 1212م⁸⁵.

بعد احتلال الجيوش النصرانية بسط مورداو الواقع فوق الجبل أن ينتزعوا قلعة كاسترو فيرال الإسلامية والتي تقع في قمة الجبل وتسمى أحيانا بحصن العقاب، وكانت بها حامية موحدية صغيرة فاحتلوا الحصن وقتلوا من كان في الحامية من المسلمين، وبسبب صعوبة المكان والتضاريس ونقص وسائل التموين والمياه فيه كان لزاما على القوات النصرانية في كل حال من الأحوال عبور جبال الشارات إلى الناحية الأخرى الأقل صعوبة، وقد تعذر لهم ذلك العبور نظرا لسيطرة القوات الموحدية على سائر ممراته ولا سيما ممر لوسا جنوب غربي الحصن، وهو الذي يفض إلى سهل تولوسا، وبالفعل استطاعت الجيوش النصرانية أن تتحرك إلى مكان أفضل وأكثر تحصينا، حيث سلكت الجيوش طريقا يؤدي إلى سهل أبدة دون أن تنتبه إليهم القوات الموحدية، واحتل الجيش النصراني مرتفع جديد وبسطوا سيطرتهم عليه وحصنوا كل ما حوله ورغم محاولات الجيوش الموحدية نزعهم منهم إلا أنها فشلت نظرا لتمركز النصارى الجيد في تلك المنطقة⁸⁶.

- المطلب الرابع: مجريات ووقائع معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

بعد تمركز كل من الجيش الموحدي والجيش النصارى كل في المواقع التي سيطر عليها كل منهما بدأ كل منهما في تنظيم جيشه للاستعداد للمعركة التي يوشك وقوعها، حيث تذكر بعض الروايات النصرانية تفاصيل كثيرة

⁸³ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص 113-114.

⁸⁴ يوسف أشباخ: المرجع نفسه، ص 114.

⁸⁵ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص 299-300.

⁸⁶ محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص 308.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

عن تنظيم الجيش النصراني لهذه المعركة حيث تذكر أن الجيش النصراني قسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية على رأس كل قسم ملك من ملوك النصارى.

فترأس قلب الجيش النصراني ملك قشتالة ألفونسو الثامن مع احتفاظه بنوع من الإشراف على الجيش كله وكان القلب يتألف من أربعة فرق إحداها فرقة الجلبين القشتاليين والثانية من قلعة رباح وشتت ياقب والداوية والإسبانية، أم الثالثة من فرسان قشتالة القديمة وأشتوريس والسكونية، والفرقة الرابعة كانت تتألف من جند الاحتياط من طليطلة وبعض من قوات ليون، وأما الجناح الأيمن للجيش فكان على رأسه سانشو السابع ملك نافارا متكونا من فرسانه ومن جند سارية وسقوية ومدينة سالم، وكذلك من الفرسان الفرنسيين وجند جليقية والبرتغاليين وعلى رأسهم الأمير البرتغالي، والجناح الأيسر للجيش فقد قسم إلى أربعة أقسام تضم المقاتلين الأراغونيين وبعض رجالة قشتالة ويتقدمهم ملك أراغون بيدرو الثاني⁸⁷.

من جهة أخرى فلا توجد تفاصيل كثيرة حول تنظيم الجيش الإسلامي الموحد المرابط في سهول تولوسا، إلا أن بعض الروايات ذكرت أن الجيش الإسلامي الموحد قد قسم إلى خمسة فرق كبيرة تتكون الفرقة الأمامية من المقاتلين المتطوعة من مختلف الطوائف وقد قدر عددهم بمائة ألف مقاتل والفرقة الثانية ميمنة الجيش من القوات الأندلسية أما الفرقة الثالثة ميسرة الجيش اصطفت فيها القوات البربرية، وأما الفرقة الرابعة والخامسة فكانت تمثل قلب الجيش والقوات الإحتياطية وكان يوجد بهما صفوة الجيش من الجند الموحد⁸⁸.

نصبت بين قلب الجيش الموحد ومؤخرته قبة الخليفة الحمراء التقليدية وأمامها جواده، كما أحاط بالخليفة حرسه الخاص من الفرسان والمشاة من الحرس الخلفي وكان أغلبهم من العبيد السودانيين بأيديهم الرماح الممدودة، ومدت حول الخليفة قبة دائرية حديدية من السلاسل القوية، حتى تبين أن الخليفة يجلس وسط حصن منيع لا يمكن اختراقه، وما ان انتظمت الجيوش حتى تعالت أصوات الطبول والأبواق من الجانبين، وإذا بالخليفة الناصر يعلن الحرب بخروجه من قبته وعليه عباءته ورفع المصحف الشريف بيد والسيف بيد أخرى معلنا الهجوم على جيوش النصارى⁸⁹.

⁸⁷ بطرس البستاني: معارك العرب في الاندلس، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 61-62.

⁸⁸ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص 119، أنظر، بطرس البستاني، المرجع نفسه، ص 62.

⁸⁹ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج2، ص 158.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

وفي صباح يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة 609هـ/1212م بدأت المعركة بين الطرفين على أهبة لخوضها⁹⁰، حيث بدأت القوات الإسلامية الموحدية هجومها عن طريق المقاتلين المطوعة الذين ارتطموا بالجنود القشتاليين وجموع الفرسان، واشتبك الفريقان في معركة دامية وتحرك كل من الجيشان تجاه بعضهما حتى أصبحت المعركة عامة، وكان هجوم المقاتلين المطوعة شديدا في البداية ومع ذلك لم يستطيعوا إختراق صفوف الفرسان القشتاليين والأكثر من ذلك المقاتلين المطوعة لم تستطع الحفاظ على ثباتها حيث ارتدوا تحت ضغط النصارى وأستشهد الآلاف منهم في سبيل الدفاع عن دينهم وبلاد المسلمين، ويقول صاحب الروض القرطاس في ذلك: " أنهم لبثوا يقاتلون حتى أستشهدوا على آخريهم وعساكر الموحدين والعرب وقوات الأندلس ينظرون إليهم ولم يتحرك منهم أحد"⁹¹.

استطاعت القوات النصرانية اختراق قلب الجيش الإسلامي من خلال اختراق فرق المطوعة، حيث لقت الجيوش النصرانية مقاومة عنيفة وارتدت فارة وصدت هجماتهم، ومن جهة أخرى فإن ميمنة وميسرة الجيش الموحدية استطاعتا بعد قتال دامي وعنيف أن ترد هجومات القوات النصرانية وأخذت هذه الأخيرة حسب الرواية النصرانية في الارتداد والرجوع للخلف وتبين أن لواء النصر سيعقد للجيوش الموحدية⁹².

عندما أحس الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة من الرُبي التي كان يتمركز عليها من تطور المعركة على النحو السيء من تراجع الجيوش النصرانية في قلب الجيش والجناحين وما أنذر به من هزيمة محققة، أراد بنفسه أن يسير إلى رأس الجنود الليونيين والظليطيين وهم جماعة مختارة كانت تؤلف القوة الاحتياطية، وكانت كلماته التي قالها لمطران طليطلة وهي: " أن الساعة قد حانت لتلقي الموت المجيد"⁹³، لكن اعتراضات المطران وكبار قادته ردت ألفونسو الثامن أن يخوض بنفسه هذه الأخطار، بعدها اضطر الأبحار إلى السير بأنفسهم وسط الجنود ورفعوا صور المسيح والعذراء مريم ليثيرون الحماسة وسط الجنود النصرانيين، وبالفعل كان لهذا تأثير كبير على الجنود وعادت الكفة للنصارى حيث نُظمت صفوف القوات النصرانية واستأنفوا حربهم وزحفوا وهم يحطمون كل مقاومة من الجيش الإسلامي بحماسة وبكل دموية باتجاه الخليفة الناصر⁹⁴.

⁹⁰ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص311.

⁹¹ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج2، ص158.

⁹² محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص311-312.

⁹³ الصلابي: المرجع السابق، ص212-213، أنظر محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص311-312، يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص119.

⁹⁴ محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص159.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

اندفع ملك قشتالة ألفونسو الثامن وقواته إلى الصف الأمامي بدعم من ملك أراغون ونافارًا تجاه الجيش الإسلامي، وهجمت الجيوش النصرانية كلها في وقت واحد بكل شدة وقوة، حتى بدأت ميمنة وميسرة الجيش الإسلامي في الإرتداد تحت ضغط المقاتلين النصارى، وفرت القوات الأندلسية والعرب وأحدث فرارهم زعزعة كبيرة وسط الجيوش الإسلامية⁹⁵.

شرعت الجيوش النصرانية في هجوماتها صوب السلاسل الحديدية التي احتشدت حولها آلاف مؤلفة من الحرس والمقاتلين، ولم يصمد في هذا القتال إلا الجند الموحدون وحرس الخليفة من السود والمغاربة، حيث صمدوا في مقاومة هجمات الجيوش النصرانية بكل بسالة وصدوهم في كل ناحية بكل شجاعة، واستطاع النصارى أن يخترقوا قلب الجيش الإسلامي إلى دائرة الحرس الخلفي، فردتهم السلاسل الحديدية ورماح العبيد وكانوا كالبنيان المرصوص حول قبة الخليفة، لكن في الأخير استطاعت الجيوش النصرانية أن تخترق الدائرة المدرعة، ودخلت الفرسان والمقاتلين القشتاليين وكذلك قوات أراغون ونافارًا كل من ناحيته وبذلك مُزق الجيش الموحد من كل ناحية، ونكلت الجيوش النصرانية بالقتل تجاه الجنود المسلمين أشد تنكيلا.

ذكرت الروايات الإسلامية أن الخليفة الناصر مكث في مجلسه الحرج إلى آخر لحظة وهو يحث جنده على الصمود تجاه الجيوش النصرانية وتنوّه الروايات بثبات الناصر وصموده اليأس في تلك اللحظة الرهيبة التي تناثر فيها وتفرق جيشه، وبقي الناصر في مكانه حتى كادت الجيوش النصرانية الوصول إليه بل كاد أن يهلك وقتل من حوله من العبيد أكثر من عشرة آلاف عبد، وأنه لولا ثباته على هذا النحو لاستوصلت جموع الجيش الموحد كلها قتلا وأسرا، واضطر الناصر في آخر لحظة أن يمتطي فرسه قدمه له أعرابي كان إلى جانبه بعد أن نبأه بفرار جنده وناشده ألا يقعد وقال الناصر: " صدق الرحمان وكذب الشيطان"⁹⁶، وفر الخليفة الناصر مع نفر من خاصته على جناح السرعة إلى بياسة لكنه لم يقف بها وسار إلى إشبيلية.

سعى فرسان و مقاتلوا الجيوش النصرانية وراء مقاتلي الجيوش الموحدية للقضاء عليهم وإبادتهم والذي فروا من كل الجوانب، واستمرت هذه المطاردة المروعة حتى دخول الليل، وقبل مغيب الشمس كان ملوك النصارى والمطران والأساقفة وجزء كبير من الجيش النصراني قد دخلوا محلة الجيش الموحد واستقروا بها، وأضحى الجيش الإسلامي الموحد العظيم الذي كان بها قبل ساعات لا أثر له بها⁹⁷.

⁹⁵ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص 159.

⁹⁶ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 234، أنظر السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص 224.

⁹⁷ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 213.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

- المبحث الثاني: أسباب هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).

يمكن إرجاع هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب إلى ما يلي:

- المطلب الأول: استبداد الخليفة الناصر برأيه.

لم يستمع الخليفة الناصر إلى نصح الشيخ أبي حفص لما أشار عليه بعدم التوجه إلى الأندلس للقتال⁹⁸، وكان من الجدير بالخليفة خاصة وهو صغير السن بالإنصات إلى الحكماء من شيوخ الموحدين، وما زاد الأمر سوءاً هو تقريبه لابن جامع الذي عمل بدوره على عزل الخليفة عن مستشاريه المخلصين، فأصبح توجيه الخليفة لا يصدر إلا عن رأي ابن جامع، وكان من نتائج الاستبداد بالرأي أياً استمراره بالتوجه نحو شلييطرة رغم معارضة بعض الأشيخ⁹⁹ وكان لهذا الاستبداد نتائجه آخراً إصابة الجيش الموحد هي أن الخليفة لم يتشاور حتى في طريقة القتال المتبعة كما فعل أبواه.

- المطلب الثاني: طول فترة حصار شلييطرة.

كان خطأ عسكرياً قاتلاً للخليفة الناصر ذلك أنه كان لهذه المجازفة خطأين، الأول إطالة مدة الحصار كثيراً ثمانية أشهر¹⁰⁰، وهو ما مكن من حلول الشتاء على الجند الموحدين كما أن إطالة المدة كانت كفيلاً بنفاذ الأوقات والأعلاف من المسلمين المحاصرين، مما أضعف من عزائمهم، ووهن قواتهم لمقاتلة العدو ودخول الحصن الذي طال انتظاره هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد مكنت المدة الطويلة للحصار النصارى من التحضير الجيد لمواجهة المسلمين في العقاب إذ تذكر المصادر أن الدعم الصليبي قد وصل إلى ألفونسو حتى من القسطنطينية¹⁰¹ شرق أوروبا.

يضاف إلى هذا كله أن الحصار العقيم لحصن شلييطرة مكن ألفونسو من السيطرة وبسهولة على قلعة رباح المهمة، والتي تجلت أهميتها من خلال جر النصارى للقتال في أحوازها فكان من الجدير بالإفادة الحفاظ على قلعة رباح وزيادة تحصينها بدل من التفريط فيها، واتهام ابن قادس بالنزول عنها للنصارى ظلماً وزوراً.

- المطلب الثالث: قتل ابن قادس.

⁹⁸ بن أبي زرع: المصدر السابق، ص 239.

⁹⁹ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط 14، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ص 219.

¹⁰⁰ الناصري: المرجع السابق، ص 198.

¹⁰¹ المراكشي: المصدر السابق، ص 263.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

إن الخطوات التي اتخذها ابن قادس لكي لا تسقط قلعة رباح، لهي الاحتياطات التي يتخذها القائد الحنك، فلقد فعل الشر الأهون حينما استسلم لألفونسو مقابل الأمان للمسلمين¹⁰² وبالتالي فهو لم يخطئ بانسحابه بل أجاد في اضافة قواته إلى قوات الخليفة التي كانت تنتظرها المواجهة الحاسمة في العقاب، فلو بقي هلك ومن معه، ولسيطر ألفونسو على القلعة بكل الخسائر الممكنة، وان افترض أن انسحابه كان خطأ فإنه لم يكن بنية التولي عن الزحف وإلا لما توجه لتقاء الخليفة وجيشه ولعمل بنصيحة صهره¹⁰³ الذي كان فطنا لمكر ودهاء ابن جامع فنصح ابن قادس بعدم التوجه للخليفة ولكنه لم يسمع كلامه.

بالإضافة إلى كل هذا فإن إعدام ابن قادس كان تكملة للفشل الذي لحق بالجيش الموحي خلال سيره نحو العقاب، وكان إعدام ابن قادس خسارة كبيرة للجيش الموحي حيث اعتبر إهانة لفرقة مهمة من الجيش الموحي، وهي جيش الأندلسيين لذلك كان هذا سببا كافيا في الكثير من المصادر لوقوع ما وقع في العقاب ((فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخف بهم الناصر ووزيره، فشنع بعضهم، ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الإفرنج والله غالب على أمره))¹⁰⁴ فيمكن القول أن المقري جعل قتل ابن قادس سببا في الهزيمة الموحدية معركة حصن العقاب.

- المطلب الرابع: تأثير ابن جامع على الخليفة في قراراته.

كان تأثير ابن جامع في قرارات الخليفة الناصر جليا مستغلا قلة خبرته في قيادة الجيش وهو ما أدى به إلى الانسياق نحو الهاوية والهزيمة في العقاب، وهذا ما يجعلنا نطرح الشك في إخلاص ابن جامع للخليفة الموحي والدولة، وهو ما يبدو جليا في قرار الخليفة بخصوص إعدام ابن قادس حيث كان تأثيره مباشرا في قرار الخليفة سببا مباشرا في قتله، وحتى في سقوط قلعة رباح في يد ألفونسو الثامن قبل ذلك، بالإضافة إلى انفراده بالخليفة دون غيره من أشياخ الموحدين من أصحاب الخبرة.

ورغم ذلك إلا أن ابن جامع ظل وزيرا للخليفة الناصر حتى وفاته¹⁰⁵، كما كان من أسباب الهزيمة أيضا كما تذكر بعض المصادر أن تأخر العطاء الذي كان يأخذه الجند كل أربعة أشهر من عهد المنصور، وأن هذا العطاء تأخر عنهم في عهد الناصر فكان من جراء هذا التأخر في العطاء أن الجند ((خرجوا وهم كارهون.....لم

¹⁰² الناصري: المرجع السابق، ص 198.

¹⁰³ الناصري: المرجع نفسه، ص 198.

¹⁰⁴ المقري التلمساني: المصدر السابق، ص 383.

¹⁰⁵ المراكشي: المصدر السابق، ص 257.

الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.

يسلوا سيفاً ولا شرعوا رحماً ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال بل انهزموا لأول حملة الإفرنجية عليهم قاصدين لذلك ((106.

يضاف هذا إلى مكر ابن جامع كما كتب الناصري أنه من أقصى شيوخ الموحدين وأعيانهم من ذوي الحنكة والرأي: ((وانفرد هو به فكان يشير على الناصر في غزوته هذه بآراء كانت سبب الضعف والوهن))، ولربما يدعم هذا الكلام سبب تأخير رواتب الجند.

-المطلب الخامس: غرور الخليفة الناصر بعدد جيوشه.

كان من أسباب هزيمة جيش الموحدين في معركة حصن العقاب الغرور بعدد المقاتلين في الجيش الموحدى ونسيانه التوكل على الله، واستمداد العون منه ومشاورة أهل الرأي والفقهاء دون أهل السوء مثل ابن جامع، حيث لم ينتهج الخليفة الناصر نهج الخليفة الموحدى المنصور الذي اتخذ الأسباب المحققة لنصره الكبير في الأرك على جيوش النصارى وجيوش ألفونسو الثامن ملك قشتالة.

فمن جهة نجد إقراراً من الخليفة الناصر نفسه وقد ((دخله الإعجاب بكثرة من معه من الجيوش)) حيث نجده يدرك وهو يرى الهزيمة تلحق بجنده يردد هذه الكلمات ((صدق الرحمان وكذب الشيطان))¹⁰⁷ ، فقد أدرك الخليفة الناصر بعد هذه الكلمات أن غروره بعدد جيوشه كان من تلبيس الشيطان ومكره، فولى مدبراً وخسر المعركة.

لقد كانت معركة الخليفة الناصر مع النصارى لقاء جيش غير مرتب فاسد النية مشئت العزيمة مغروراً بعدده وعدته، ومن الجهة المقابلة فكان جيش ألفونسو الثامن جيشاً منظماً استطاع معرفة نقاط ضعف الجيش الموحدى يقاتل بعقيدة النصر ولبس الجيش النصراني لباس المدافع عن عقيدته وأن مسألة انتصاره هي مسألة حياة أو موت كما روج له البابوات، زيادة على دخوله قلعة رباح التي كانت حافزاً له قبيل معركة العقاب.

¹⁰⁶ المراكشي: المصدر السابق، ص 65.

¹⁰⁷ الناصري: المرجع السابق، ص 199.

– الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب على العالم الإسلامي

والمسيحي.

المبحث الأول: نتائج معركة حصن العقاب على الطرفين.

المطلب الأول: نتائج معركة حصن العقاب على العالم الإسلامي.

المطلب الثاني: نتائج معركة حصن العقاب على الأندلس.

المبحث الثاني: انعكاسات المعركة على الطرفين.

المطلب الأول: انعكاساتها على العالم الإسلامي.

المطلب الثاني: انعكاساتها على بلاد الأندلس.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

- الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

سيتم في هذا الفصل استعراض ما ترتب عن هزيمة الجيش الموحد في معركة حصن العقاب ومدى تأثيره على الدولة الإسلامية وبالمقابل انتصار جيوش النصارى وانعكاساتها على العالم المسيحي.

- المبحث الأول: نتائج معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على الطرفين.

شكلت موقعة العقاب التاريخية سنة (609هـ/1212م) تراجعاً كبيراً لسلطة المسلمين في الأندلس فقد كان لموقعة العقاب أثر كبير في سقوط دولة الموحدين ومن نتائجها:

- المطلب الأول: نتائج معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم الإسلامي.

1- سياسياً:

لقد أثرت معركة حصن العقاب تأثيراً كبيراً على الدولة الموحدية في كافة الجوانب، حيث أدى انهزام الجيش الموحد إلى ضعفها، وخاصة بعد وفاة الخليفة الناصر عام 610هـ/1213م، حيث خلفه خلفاء ضعفاء ليس لهم من الخبرة في تسيير شؤون الدولة مثل الخليفة المستنصر بالله (610هـ-620هـ / 1213م-1223م)، وقد عرفت البلاد الإسلامية كثيراً من الثورات والفتن¹⁰⁸، وبعد وفاة المستنصر بالله سنة 620هـ/1223م، تمكن شيوخ الموحدين من السيطرة على الحكم وكل يحكم وفق مصالحه الشخصية دون مصلحة الدولة فقتلوا ورفعوا من شاؤوا وهذا كان واضحاً عندما قتل الخليفة عبد الواحد يوسف بن عبد المؤمن (620هـ-621هـ / 1223م-1224م) وذلك بعد أن تولى الحكم بثمانية أشهر، وتولى بعده أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور والذي كان يلقب بالعدل (621هـ-624هـ/1224م-1226م)، حيث أصبح الصراع داخل الدولة جلياً بين أبناء القبيلة الواحدة مثل أبناء حفص الهنتاني، حيث بدأ هذا الصراع عند رفض أبي محمد عبد الله الواحد الحفصي والي إفريقية مبايعة المأمون لقتله العدل، فأراد المأمون أن ينتقم منه فأغرى أخاه أبا زكرياء بن عبد الواحد بولاية إفريقية إذا

¹⁰⁸ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 141.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

استطاع البيعة له فيها، وكان نتيجة ذلك أن حدثت مواجهة بين أبي زكرياء وأبي محمد انتهت باستيلاء أبي زكرياء على إفريقية.

بايع أهل الأندلس أبا العلاء إدريس الأول الملقب " المأمون " سنة 624هـ/1227م¹⁰⁹، أما أهل المغرب الأقصى بمراكش يحيى بن الناصر الملقب " بالمعتصم"¹¹⁰ سنة (624هـ-633هـ/1226م-1232م) حيث بعد وفاة العادل جرى بينهما صراع، فاستغل النصارى تدهور الأوضاع في الدولة الموحدية فاستغلوا هذا وسيطروا على مدن أندلسية حيث اندلعت ثورات في الأندلس فثار ابن هود¹¹¹ على الموحدين سنة 625هـ/1228م وسمى نفسه المتوكل على الله وانفصل بشرق الأندلس ودارت بيته وبين المأمون موقعة جزيرة طرينة¹¹² سنة 626هـ/1229م ، حيث هزم المأمون وفر إلى المغرب.

بعد فقدان السيطرة على الأندلس من قبل الموحدين بدأت تدريجياً بفقدان المغرب سبب قلة خبرة الأمراء، فظهر حكام أحكموا قبضتهم على أقاليم المغرب فأسسوا دويلات خاصة بهم، فانهارت دولة الموحدين فتقسمتها ثلاث ممالك برية: الأولى تحت إمرة أبي زكرياء بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي في إفريقية سنة 625هـ/1228م، الذي انفصل على الموحدين وضم إليه تونس و بجاية و قسنطينة، والثانية تحت إمرة يغمراسن بن زيان وهم بنو عبد الواد سنة 633هـ/1236م، والثالثة قبيلة بنو مرين في المغرب الأقصى سنة 614هـ/1217م.

بدأت الدولة الموحدية في السقوط وما زاد في تسارع سقوطها عدم توفر شروط الخلافة في بني عبد المؤمن فأصبح منصب الخليفة لكل من أراد الخلافة، وهذا ما يفسر وصول خلفاء ضعفاء قليلي خبرة إلى الخلافة السبب الذي كان من أهم أسباب إنحيار الدولة الموحدية.

¹⁰⁹ أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور وكنيته أبو العلاء، وكانت خلافته بمزاحمة يحيى بن الناصر، توفي مراكش سنة 629هـ/1232، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 249.
¹¹⁰ المعتصم: هو يحيى بن الناصر، أبي عبد الله بن يعقوب المنصور بالله وكنيته أبو زكرياء كانت مدة خلافته تسع سنين توفي سنة 633هـ/1236م، ابن عذاري، المصدر السابق، ص 391.

¹¹¹ ابن هود: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي من سليلة أسرة هود أصحاب مملكة سرقسطة في الشطر الأعلى، جمع أصحابه وخرج بممر الحصن المعروف بالصخور، ابن الخطيب التلمساني، المصدر السابق، ص 422.
¹¹² ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 288-289.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

2- إقتصاديا:

أدى تأثير انهزام الجيوش الموحدية في معركة حصن العقاب إلى انهيار الدولة الموحدية اقتصاديا، حيث تعرضت التجارة الداخلية والخارجية إلى نكسة عظيمة، فتوقفت قوافل التجارة عن القدوم للبلاد الإسلامية بسبب انعدام الأمن، وتراجعت الصناعة وفرضت الغرامات على كل السلع القادمة والخارجة من الدولة، كما حدث شلل في القطاع الفلاحي والزراعي بسبب هجرة الفلاحين والمزارعين نتيجة الأعمال التخريبية والفوضى التي أحدثتها الحروب والثورات، فأظهر كل هذا سوء الأحوال الاقتصادية في الدولة، مما تسبب في فراغ خزينة الدولة من الأموال، حتى وصل الأمر إلى عدم مقدرة الدولة على دفع رواتب الجيش، كما ازدادت معاناة الرعية من الضرائب الكثيرة التي كانت تمول الحروب والثورات وهو ما ساهم بشكل مباشر في انهيار الدولة الموحدية¹¹³.

3- إجتماعيا:

لقد كانت العصبية المصمودية هي أساس الدولة الموحدية، حيث تبنا دعوة ابن تومرت وعملوا على نشرها، وكانوا سببا في سقوط الدولة الموحدية بعد موقعة العقاب، حيث تلاشت مظاهر التضامن والتلاحم بين المصامدة بعد أن شعر أغلبهم أنهم أدوات في يد الخلفاء لبيسط نفوذهم وسيطرتهم لخدمة الخلفاء، بالإضافة إلى أن الدولة أصبحت غير قادة على توفير الأمن لهم، حيث هاجرت القبائل المصمودية والصنهاجية من موطنها الأصلي تاركة مكانها وفراغا كبيرا لتحل محلها قبائل أخرى هاجرت إلى هناك والتي أصبحت فيما بعد تشكل تهديدا للدولة الموحدية¹¹⁴.

حيث ذكر ابن عذاري المراكشي ((أن واقعة العقاب كانت السبب في هلاك الأندلس إلى الآن))، ما نتج عنه توقف المدد والعون من بلدان المغرب إلى الأندلس.

¹¹³ أبو رميلة: المرجع السابق، ص 382.

¹¹⁴ الزركشي: المصدر السابق، ص 6.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

- المطلب الثاني: نتائج معركة حصن العقاب على الأندلس.

1- سياسيا:

ساهمت هزيمة الجيوش الموحدية في معركة العقاب إلى استرداد مشروع النصارى الذي كان منذ زمن والذي ينادي بطرد المسلمين من الأندلس، حيث بادر ملك قشتالة " فرديناند الثالث " بالغزو على الأراضي الإسلامية التي تركها الموحدون، حيث سيطر ملك أراغون " خيام الأول " وزحف نحو الجزائر الشرقية سن 626هـ/1229م ثم إلى ميورقة سنة 627هـ/1230م، وفي سنة 633هـ/1234م تمكن من السيطرة على قرطبة وبعض المدن والحصون القريبة منها¹¹⁵.

استمر " خيامي الأول " في مشروعه الاستردادى فقام بالسيطرة على دانية وشقر ومدينة البيضاء سنة 641هـ/1246م، في حين استعد فرديناند لضم إشبيلية، واستطاع لذلك بمساعدة ابن الأحمر رغم المقاومة الشديدة للسكان وبعدها استسلموا وسلموا المدينة سنة 646هـ/1248م، أما غربالبرتغال كشلب وطلبيرة وغيرها فتم السيطرة عليها من طرف الملك ألفونسو الثالث¹¹⁶.

2- إقتصاديا:

أدى انهيار الدولة الموحدية إلى خراب اقتصادي كبير وكان سببا في تفكك الدولة إلى ثلاث دويلات صغيرة، كل واحدة لها مجالها الإقتصادي الخاص بها، ففي أواخر القرن السادس الهجري تطورت الطرق البحرية في الممالك النصرانية حيث دعمت النمو السريع في موانئ أوروبا وللتجار، حيث ظهرت الطرق بين إيطاليا وشمال إفريقيا، حيث أصبحت جنوة وغيرها نقطة من نقاط توزيع البضائع من شرق العالم الإسلامي إلى غربه¹¹⁷.

¹¹⁵ ابن الأبار: المصدر نفسه، ص 332-336.

¹¹⁶ ابن الأبار: المصدر السابق، ص 332-336.

¹¹⁷ أبو رميلة: المرجع السابق، ص 381.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

3- إجتماعيا:

كان استرداد الحركات النصرانية داخل البلاد الإسلامية الموحدية سببا في ضعف الدولة الموحدية مما أدى إلى هجرة الكثير من المسلمين فارين بدينهم وأموالهم من الإضطهاد النصراني في بلادهم نحو غرناطة، حيث أصبحت تمثل أكبر عدد لتجمعات المسلمين في بلاد الأندلس، واتجهوا أيضا إلى بلاد المغرب التي كانت الملاذ الأخير لهم الآمن في ذلك الوقت، ولم يكن المسلمين فقط الذين يعانون من الإضطهاد بل مس اليهود أيضا، وذلك ما أثر سلبا على سقوط الدولة الموحدية فيما بعد¹¹⁸.

4- فكريا:

ساهم التدني في المستوى الفكري في سقوط الدولة الموحدية حيث اقتصر الحس التألوفي على الشروح والمختصرات، والذي اعتبره ابن خلدون والمقري سببا في فساد العالم في ذلك الوقت، بالإضافة إلى هجرة العلماء والفقهاء من الأندلس والمغرب إلى مناطق أكثر أمنا وعلى رأسهم ابن الآبار ورفاقه، وذلك نتيجة وقوع القواعد الإسلامية في يد النصارى، أما الإرث الحضاري بالأندلس فقد استمر إلى حد الآن.

¹¹⁸ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 288-289.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

- المبحث الثاني: انعكاسات المعركة على الطرفين.

كانت موقعة حصن العقاب وبالآ على المسلمين عامة والموحدين في المغرب والأندلس بصفة خاصة، اذ شكلت تحولا كبيرا في تاريخ دولة الموحدين حيث بدأت تظهر عليها مظاهر الضعف بعد أن كانت قوة سياسية عظيمة تقود الأندلس والمغرب، وتغيرت بها الأوضاع بعد هذه الهزيمة المروعة ومن انعكاساتها:

- المطلب الأول: انعكاسات على العالم الإسلامي.

1- ظهور حركات التمرد والثورات:

في سنة 625هـ/1227م ثار في عهد المأمون بن الناصر محمد بن أبي الطواجين المتني الذي ادعى النبوة، وفي وقت خروج المأمون أخوه أبو موسى عمران بن منصور بن يعقوب بمدينة سبتة قامت قبائل مكلاثة بمحاصرة مكناسة¹¹⁹، أين قام عمران بتسليم سبتة لابن هود الغرناطي مقابل إعطاءه إمارة المرية¹²⁰. وفي زمن الخليفة الراشد سنة (632هـ/1253م) ثار القائد مسعود بن حميدان بقبائل الخلط فاستولى رفقة جنوده على مراكش مما استدعى جهودا كبيرة لاختاد نار الثورة، بعدها فر الخليفة المرتضي علي بن بدر من بني باداسن ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها واستولى على تارودانت وعلى بعض بلاد السوس بمساعدة بعض القبائل.

وفي بداية عهد الخليفة الموحي المنتصر يوسف بن الناصر تأخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (618هـ/1221م) والي الموحدين على إفريقية، بعدها تمت بيعته من طرف الحفصيين بعد تدخل الوزير الجامع، فكانت هذه أولى مؤشرات تمرد الحفصيين في المغرب على الدولة الموحدية في مراكش إلى أن قام الأمير أبو زكرياء بن أبي حفص الهنتاني سنة (647هـ/1250م) بالتمرد على الموحدين¹²¹.

¹¹⁹ مدينة بربرية بينها وبين مراكش أربعة عشر مرحلة نحو الشرق، وهي عبارة ع مدينتين صغيرتين واحدة قديمة والأخرى بناها يوسف بن تاشفين 453هـ-500هـ/1061-

1106م)، تبعد عن فاس مرحلة واحدة، الحموي ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي 660هـ): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ، ص 306-307.

¹²⁰ ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 254.

¹²¹ السلاوي: المرجع السابق، ص 240.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

أما عن استقلال بني عبد الواد بالمغرب الأوسط فقد جعلوا من تلمسان عاصمة لهم سنة (633هـ/1235م)، أما بنو مرين فقد فتحوا مراكش وأقاموا دولتهم في المغرب الأقصى، وهذا ما يدل على فقدان الدولة الموحدية لأراضيها وأملاكها الواحدة تلو الأخرى.

2- إنهاء الدولة الموحدية:

بعد هزيمة الدولة الموحدية في معركة حصن العقاب انحارت سلطتها على معظم الأراضي التي كانت تابعة لها خاصة مع هزائمهم المتتالية مع بني مرين وقلة اهتمامهم بقوة الجيش بعد وفاة الناصر الموحيدي (595هـ- 610هـ/1199م-1213م) مع إهمال الموحدين للدور الديني الذي كان أساسا في الدولة، وعدم وضعهم لنظام حكم ثابت أدى للمنافسة بينهم للوصول للحكم الأمر الذي دفع بالولاة إلى الاستقلال عن الدولة، كالحفصيين وبني زيان بتلمسان وبني مرين بالمغرب بفاس¹²².

استغل بنو مرين الفراغ في الدولة الموحدية فأخذوا ينتقلون بين سجلماسة وإلى ملوية ووصلوا أحيانا حتى إلى المغرب الأوسط، وحسبما جاء عن ابن أبي زرع عن انتقال المرينيين إلى المغرب كان نتيجة خلاف لهم مع بني عبد الواد وبني واسين سبب امرأة وذلك في بداية القرن السابع للهجري سنة 601هـ/1204م وبدأوا ينتقلون بين تاهرت¹²³ وتلمسان فسكنوا منطقة الزاب وكان الموحدون يستعينون بهم في الخدمات المخزنية كما استعانوا بهم في الجهاد في الأندلس، وعندما ضعف الموحدون تشوق بنو مرين لاعتلاء سلطة الحكم، وباستغلال المعلومات التي تخص ضعف الدولة الموحدية انتشر بنو مرين كالجراد في المغرب الأقصى.

وتداول على بني مرين قبل دخولهم المغرب أمراء أولهم محمد بن وزير بن فجوس بن كرماط بن مرين في عهد الدولة المرابطية، وكان أول صدام للمرينيين مع الموحدين في حفص بن ميسون سنة (540هـ/1145م)، حيث هزموا وقتل أميرهم وقدم رأسه إلى عبد المؤمن بن علي الموحدي (524هـ-558هـ/1139م-1163م)، وبعد ذلك أغار الأمير المريني عبد الحق بن محيو الذي كانت إمارته بالمغرب على الموحدين فاشتكاه الناس إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف الثاني الملقب بالمستنصر بالله (611هـ-620هـ/1214م-1224م)،

¹²² نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي: الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685هـ-706هـ/1286م-1306م)، دراسة سياسية حضارية، رسالة لنيل

شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، العراق، 2003، ص 85

¹²³ مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط، على طريق المسيلة من تلمسان وكانت تاهرت فيما سلف مدينتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة وهي تقع في سفح جبل يسمى قزول

وعلى نحر يأتيها من ناحية الغرب، الحميري، المصدر السابق، ص 126.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

فاستعد الموحدون لمواجهة المرينيون والتقى الجيشان بالقرب من واد نيكور ودامت المعركة ثلاثة أيام فطلب القائد الجيش الموحدى الحسن بن واندين من والى فاس مساعدته، لكن هذه المساعدة كانت دون جدوى ومضى الجيش الموحدى بهزيمة نكراء واضطر الموحدون للتراجع إلى مدين فاس¹²⁴.

وفي سنة (643هـ/1245م) تم فتح مكناس من قبل الأمير المريني أبا بكر بن عبد الحق الذي رفع راية المرينيين بها، ليرسل بعدها ببيعة المرينيين إلى الأمير أبو زكرياء يحيى الأول الحفصي (628هـ-647هـ/1230م-1249م) ليسطر بعدها على فاس سنة 1248م وبعدها سلا ورباط الفتح سنة (649هـ/1259م)¹²⁵.

نشبت الحرب بين الخليفة الموحدى أبي حفص الملقب بالمرتضى (646هـ-665هـ/1248م-1266م) و الأمير أبي بكر فاستولى هذا الأخير على تادلا وسجلماسة ودرعة التي سقطت في قبضتهم في سنة (655هـ/1257م) وعلى إثرها توفي الأمير أبي بكر سنة (656هـ/1258م) ليخلفه عمه الأمير يعقوب بعد ذلك.

توسعت أطماع الأمير المريني يعقوب بالطموح للاستيلاء على مراكش في وادي تالاغ سنة (666هـ/1267م) ونشبت المعركة هناك وقتل ابن دبوس آخر خلفاء الموحديين آنذاك¹²⁶ وتم دخول مراكش من قبل الأمير يعقوب في محرم من سنة (668هـ/1269م) وكان هذا انتهاء الدولة الموحدية بالمغرب، وبهذا يعتبر السلطان يعقوب تاريخيا المؤسس الأول للدولة المرينية التي اتخذت من فاس عاصمة لها¹²⁷.

¹²⁴ نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي: المرجع السابق، ص 9.

¹²⁵ محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مجلة الدارة، العدد 3، الرباط، 1987م، ص 160-170.

¹²⁶ نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي: المرجع السابق، ص 12.

¹²⁷ محمد بن مظفر الوردى، تنمة المختصر في أخبار البشر، ج1، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998، ص 317.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

1- المطلب الثاني: انعكاسات المعركة على بلاد الأندلس.

1- زوال سلطة الموحدين بالأندلس:

لحقت بالدولة الموحدية هزيمة كبيرة في معركة حصن العقاب، وتكبد المسلمون خسائر كبيرة، وعاد محمد الناصر إلى اشبيلية ليعبر بعدها إلى مراكش أين توفي بها سنة (610هـ/1214م)، أما الملك ألفونسو فواصل حملاته على أراضي المسلمين ليستولي على الكثير من الحصون القريبة منه¹²⁸.

استخلف يوسف المنتصر بالله أبوه الناصر بعد وفاته وهو في سن السادسة عشر لتنظيم شؤون الأندلس ولكن الهزيمة في حصن العقاب أثرت كثيرا على تسيير الدولة في ظل عجز القادة على رد الهجمات النصرانية عليهم إلى أن توفي المنتصر بالله سنة (620هـ-1224م)¹²⁹، فبايع الموحدون محمد بن عبد الواحد ابن الخليفة المنصور لكن نافسه في الزعامة عبد الله بن يعقوب، وأعلن نفسه خليفة ولقب بالعدل سنة (621هـ/1224م) الذي بايعه ولاة الأندلس وعين بعد ذلك أخوه أبو العلاء إدريس والي على اشبيلية، لكن نبذ هذا الوالي طاعة أخيه ولقب بالمأمون، بعدها ثار الموحدون على الخليفة العدل وقتلوه وعين مكانه ابن أخيه محمد الناصر عام (624هـ/1227م)، فاستعان المأمون بفرديناند الثالث ملك قشتالة لتقديم المساعدة له مقابل أموال كثيرة ومنح امتيازات للنصارى، فدعمه بالقوة العسكرية ليصطدم بالخليفة يحيى وينهزم ليتوفى في شهر ذي الحجة عام (629هـ/1232م) ليخلفه فيما بعد ابنه عبد الواحد الذي لقب بالرشيد¹³⁰.

إنهار حكم الموحدين بالأندلس نتيجة الصراعات الداخلية التي كانت بينهم، حيث بمجرد أن خرجت الأندلس عن سيطرة الدولة ظهرت زعامات منقسمة ومتحاربة فيما بينها والتي سهلت مهمة النصارى، وهكذا أصبحت الممالك النصرانية بعد هذه الصراعات ثلاثة ممالك هي مملكة قشتالة ومملكة أراغون ومملكة البرتغال¹³¹. وانبثقت عن هزيمة الموحدين في حصن العقاب زعامات محلية من بينها ابن هود وابن مردنيش وابن الأحمر الذين أسسوا إمارات جديدة بالأندلس.

¹²⁸ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 263.

¹²⁹ ابن خلدون: المصدر السابق، ص 251.

¹³⁰ ابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ص 252-254.

¹³¹ صديقي عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، إشراف الدكتور مكوي

محمد، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014، ص 60

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

2- حركة ابن هود:

استغلت القوى الأندلسية المحلية فقدان الدولة الموحدية أملاكها بالأندلس بعد انهزامها في معركة حصن العقاب بسبب المد النصراني على أراضيها، حيث قام محمد بن يوسف بن هود الجذامي (625هـ- 635هـ/1228-1237م) بالتمرد في مرسية سنة (616هـ/1219م) واتخذ من حصن الصخيرات ملجأ له، ورفع ابن هود شعار الاستقلال عن الموحدين والنصارى وهذا ما جعل الكثيرين يبايعونه ويدخلون تحت طاعته¹³² ، وأعلن ابن هود تبعيته للدولة العباسية التي دعمته وقلدته الحكم والذي صار الحاكم الفعلي للأندلس وأعلن الحرب على النصارى والموحدين معا، حيث لقب ابن هود نفسه بالمتوكل على الله، بعدها تمكن ابن هود من الاستيلاء على المنطقة الجنوبية للأندلس من أيدي الموحدين، وأعلن أهل اشبيلية وماردة وجيان وبطليوس انضمامهم إليه، واضطر ابن هود إلى مواجهة الموحدين والنصارى في آن واحد لضمان إمارته وبقائها، لكن الأخطر من ذلك ظهور أطراف منافسة له متمثلة في ابن مردنيش في بلنسية، ومحمد بن يوسف بن الأحمر، وقتل ابن هود في سنة 635هـ/1238م على يد خادمه ابن الرمي في مدينة المرية ليستولي على أملاكه بني الأحمر¹³³.

3- حركة ابن مردنيش:

بالإضافة إلى ابن هود ظهر قائد آخر أكثر حماسة هو ابن مردنيش الذي كان وزيرا لوالي بلنسية الموحد السيد أبو زيد والذي كان من مبادئه الاستقلال والثورات بعد هزيمة واليه الموحد علي يد ابن هود، بعدها بايع أهلها ابن مردنيش في أوائل ربيع الأول (626هـ/1229م) ليعلن حربه ضد ابن هود¹³⁴.

4- حركة ابن الأحمر:

ظهر هذا الثائر بالأندلس في بداية مسيرته واستطاع أن يجمع أتباعه الكثير من الموالين له من عدة مدن وسط الأندلس، وقد تصادم كل من ابن هود وابن الأحمر بعدما عد ابن هود هذا الأخير خارجا عن طاعته

¹³² عامر أحمد عبد الله حسن: دولة بني مرين، تاريخها وسياساتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف عدنان ملحم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2003، ص 70.

¹³³ ابن الخطيب التلمساني: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د ت، ص 19

¹³⁴ عمارة سيدي محمد: هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (13/7هـ) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران، السانبة، 2012-2013، ص 37.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

وانتهى هذا الصراع بمقتل ابن هود سنة (635هـ/1238م) مما فسخ المجال أمام ابن الأحمر الذي كسب طاعة غرناطة وكان دخوله إليها في شهر رمضان سنة (635هـ/1238م) بالإضافة إلى مناطق أخرى من الأندلس¹³⁵. وبسيطرة ابن الأحمر على غرناطة ينتهي بذلك حكم الموحدين في الأندلس، والذي سيجعل أهلها بين خيار البقاء فيها والهجرة منها إلى المغرب الإسلامي.

5- سقوط كبرى المدن بالأندلس وتسارع حركات الإسترداد النصرانية:

بعد سقوط الدولة الموحدية بالأندلس بعد الهزيمة الكبيرة في معركة حصن العقاب فسخ المجال إلى حركات الاسترداد النصرانية التي سعت بكل همجية إلى استرجاع الأراضي وطرد المسلمين وقتلهم وما سهل أمرهم هو غياب سلطة موحدة تجمع كلمة المسلمين، ففي الوقت التي عرفت الممالك النصرانية تقارب واتحاد عرف المسلمون تشتتاً وفراراً بحثاً عن مناطق آمنة من المد النصراني، حيث اتحد مملكة قشتالة مع مملكة ليون والبرتغال لتصبح أكثر قوة في مواجهة ممالك إسلامية ضعيفة.

كل هذه الظروف ساهمت وبكل سهولة لتجسيد مشروع الاسترداد النصراني الذي راود النصارى منذ عقود من الزمن حيث أصبحت الفرصة سانحة لتوجيه ضربات لبقية المسلمين بالأندلس¹³⁶، حيث تعرضت بلاد الأندلس إلى هجمات متتالية من قبل النصارى ما أدى إلى سقوط العديد من القواعد الإسلامية، وفي الوقت الذي اشتد فيه الصراع على الحكم بعد انهيار الدولة الموحدية من قبل المسلمين كان النصارى يسيرون نحو احتلال أراضي الأندلس في عدة مناطق من بينها:

5-1- سقوط مدن شرق الأندلس:

كانت هذه النواحي ضعيفة منذ سقوط سرقسطة سنة 512هـ/1118م ورغم نوع من التماسك في هذه الأراضي إلا أنها اختلفت الموحدون على الحكم عجل بسقوطها، ومع استقرار مملكة أراغون سعى ملكها خيامي الأول وبمباركة الكنيسة إلى توجيه ضرباته إلى حواضر المسلمين.

وبعد خروج الحملات النصرانية قاصدة ميورقة في 14 شوال من سنة 626هـ/1229م بجيش ضخم، تواجه المسلمون مع النصارى في معركة طاحنة استطاع النصارى أن يطبقوا الحصار على ميورقة، وفي 12 صفر من سنة 626هـ/1229م قام النصارى بحصار ميورقة والتحموا مع المسلمين في قتال عنيف لتسقط المدينة في أيدي

¹³⁵ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 100-101.

¹³⁶ صديقي عبد الجبار: المرجع السابق، ص 161.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

النصارى بعد الدفاع عنها ببسالة وشجاعة من المسلمين لكن الغلبة كانت للنصارى ودخل ملك أراغون خيامي الأول المدينة في صفر من سنة (627هـ/1230م)، ليستمر بعدها ويأتي الدور على جزيرة يابسة التي نزل بها النصارى وبعد مصادمات مع أهلها استمرت خمسة أشهر استسلم أهل الجزيرة وسلموها للنصارى¹³⁷، وبعد انتهاء الملك خيامي الأول من مدينة ميورقة إتجهت أنظاره إلى بلنسية كبرى قواعد المسلمين بالأندلس، فأعد النصارى حملة كبيرة بمباركة الكنيسة لاحتلالها وبدأت الحملة في أواخر سنة 631هـ/ أوائل سنة 1233م فتمكن جيوش الملك خيامي الأول من الاستيلاء على مدن وحصون قريبة من المدينة منها شفيت وبربول زكزيغاس والمصورة وسلطوانة ومشرويف، وفي هذه السنة أيضا وقع الحصن المنيع أنيشة¹³⁸، الواقع بالقرب من بلنسية، وذلك بعد هزيمة كبيرة وقعت للمسلمين وفرض الحصار على المدينة من طرف الأراغونيين الذي بدأ في الخامس من شهر رمضان 635هـ/1238م، وكثفت الجيوش النصرانية هجماتها على المدينة في حين دافع أهلها وبكل شجاعة عنها، ليقوم أمير المدينة بمراسلة ملك أراغون سرا من أجل تسليم المدينة والمفاوضة وتم تسليم مدينة بلنسية صلحا في شهر صفر 636هـ/1238م¹³⁹، وفي صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر صفر من سنة 636هـ الموافق للتاسع من شهر أكتوبر من سنة 1238م دخل ملك أراغون خيامي الأول ومن معه المدينة وأمر بتحويل جميع مساجدها إلى كنائس وطمس كل ما يتعلق بالإسلام، وبلغ عدد النازحين من بلنسية حوالي خمسين ألفا في مدة خمسة أيام¹⁴⁰، وبعد سقوط إحدى أكبر القواعد الإسلامية بالأندلس تابع الملك خيامي الأول حملاته لباقي المدن الإسلامية القريبة من بلنسية فاستولى على جزيرة شقر¹⁴¹، وبعدها شاطبة سنة 644هـ/1246م صلحا ثم نقض النصارى العهد طردوا المسلمين منها سنة 645هـ، ثم جاء الدور على مدينة مرسية التي سقطت هي الأخرى بيد الأراغونيين صلحا بعد محاصرتها ودخلها الملك خيامي الأول سنة 664هـ/1266م¹⁴².

وتوالت سقوط قواعد شرق الأندلس بيد الأراغونيين بمساعدة القشتاليين بعد بلنسية حتى أصبح الملك خيامي الأول يلقب بالفتاح.

5-2- سقوط مدن الأندلس في الغرب والوسط:

¹³⁷ عمارة سيدي محمد: المرجع السابق، ص 45.

¹³⁸ هو موضع قريب من بلنسية، وعلى جبل أنيشة كانت الواقعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصارى، أنظر: لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص 303.

¹³⁹ الحميري: المصدر السابق، ص 22.

¹⁴⁰ الحميري: المصدر نفسه، ص 97-101.

¹⁴¹ صديقي عبد الجبار: المرجع السابق، ص 166.

¹⁴² محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 463.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

يعتبر وسط وغرب الأندلس أكبر المناطق الإسلامية في الأندلس مما أدى بالمسلمين إلى الفرار إلى أماكن أكثر أمنا من بطش النصارى وكان من أهم المناطق التي سقطت مدينة قرطبة حيث سعى الملك فرديناند الثالث ملك قشتالة بعد اتحاده مع ملك ليون بالاستيلاء على العاصمة التاريخية للخلافة الإسلامية نظرا لمكانتها العسكرية والتاريخية للمسلمين، وقام بالاستيلاء على الأراضي الواحدة تلو الأخرى شيئا فشيئا مستغلا الحرب القائمة والنزاع بين ابن هود وبني الأحمر، فتمكن من الاستيلاء على الحصون والقلاع منها مدينة أبدة سنة (631هـ/1232م)¹⁴³، بعدها تحركت الجيوش النصرانية صوب مدينة قرطبة، وفرضت عليها حصارا كبيرا لعدة أشهر وبعد طلب أهل قرطبة المساعدة من ابن هود لم يعطي اهتماما لهم وتركهم يحاربون ضد النصارى لوحدهم منشغلا بحربه ضد ابن الأحمر، وفي هذه الظروف سقطت مدينة قرطبة وفر أهلها من المدينة يوم الأحد الثالث والعشرون من شهر يوليو سنة 1236م، ورفع الصليب فوق المسجد الجامع لقرطبة في إشارة لانتصار جيوش النصارى، وبذلك سقطت المدينة بعد أن كانت منارة للمسلمين في الأندلس، وجاء في ترجمة آخر قضاة مدينة قرطبة الربيع بن عبد الرحمان بن ربيع الأشعري عند مغادرته مدينة قرطبة نحو اشبيلية: ((إنه ما هالة عظيم الرزء في مفارقة المال والوطن عند الحاجة إليه من سن الشاقة ولا بلغ لديه من ذلك مبلغ الرزء فيما تلف له من كتبه))¹⁴⁴.

سعت الجيوش النصرانية إلى طمس كل ما هو إسلامي بالمدينة فعمدت إلى تحويل المساجد إلى كنائس وعادت قرطبة نصرانية كانت بعد كانت عاصمة بني أمية.

لم يتوقف الملك فرديناند الثالث ملك قشتالة عند السيطرة على قرطبة بل توجه نحو غرناطة الإمارة الناشئة في ظل حكم بني الأحمر وأخذ منها حصن أرغوة ومدينة جيان بعد أن عقد بني الأحمر معاهدة معه سنة (643هـ/1244م) التي تنص على حماية ملك قشتالة لبني الأحمر وبذلك أصبح جنوب الأندلس كله تحت رحمة الملك فرديناند الثالث¹⁴⁵.

بعد سيطرة الملك فرديناند الثالث على مدينة قرطبة وغرناطة شرع في التجهيز والتأهب للاستيلاء على مدينة إشبيلية أعظم قواعد الأندلس وذلك لأهميتها الكبيرة لدى الموحدون، فبدأ حملته الكبيرة على إشبيلية

¹⁴³ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص 183.

¹⁴⁴ أبو الحسن بن عبد الله المالقي الأندلسي: تاريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب الرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983، ص 118.

¹⁴⁵ ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص 551.

الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) على العالم

الإسلامي والمسيحي.

بالاستيلاء على الحصون الأمامية، وهم ما تم فعلا حيث تم الاستيلاء على قرمونة وبعدها لورة ثم زحف على قنطانة الواقعة شمال اشبيلية، وقصد بعد ذلك غليانة ثم بلدة القلعة وتمكن من السيطرة عليهم جميعا وذلك بمساعدة ابن الأحمر الذي كان له الدور الفعال في سقوط كل هذه الحصون بكل هذه السرعة في يد النصارى¹⁴⁶. استمر حصار المدينة برا وبحرا بداية من سنة (644هـ/1247م)، واستمر حصارها ثمانية عشر شهرا، وكان دعم ابن الأحمر للنصارى بكل العتاد والعدة والمؤن في حصارهم لمدينة اشبيلية ورغم مقاومة أهلها الشجاعة في الدفاع عن مدينتهم إلا أنهم اضطررا للتفاوض مع النصارى لتسليم المدينة صلحا، وهكذا دخل النصارى المدينة سنة 646هـ/1248م يتقدمهم ملكهم فرديناند الثالث ملك قشتالة في موكب ملكي ضخم حول فيه مسجد إشبيلية إلى كنيسة¹⁴⁷.

كان لسقوط مدينة اشبيلية وقع كبير في نفوس المسلمين والأندلس، وبذلك استطاع الملك فرديناند الثالث بسط نفوذه وسيطرته على جميع القواعد الإسلامية بهذه المنطقة وذلك بضمة شريس وتادمس وسلونة وأركس، والبريجة و روطة ولبله¹⁴⁸، وانتهى بذلك حكم المسلمين على اشبيلية بعدما استمر حوالي خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما ونزح أهلها إلى أماكن آمنة هروبا من بطش النصارى¹⁴⁹.

¹⁴⁶ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ع3، ق2، ص 477.

¹⁴⁷ محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص 486.

¹⁴⁸ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص 184-198.

¹⁴⁹ عمارة سيدي محمد: المرجع السابق، ص 57.

خاتمة

معركة حصن العقاب كانت واحدة من أبرز المعارك في التاريخ، حيث شهدت صراعًا عنيفًا بين القوات المهاجمة والمدافعة. تمت هذه المعركة في سياق صراع كبير بين القوى المتصارعة، وقد لعبت دورًا حاسمًا في تحديد مسار الحدث ونتائجه.

ومن خلال هذه الدراسة يمكن القول أن معركة حصن العقاب كانت نقطة تحول في تاريخ الوجود الإسلامي في الأندلس ونقطة بداية لانحيار الدولة الموحدية، نظرًا للخسائر الكبيرة الذي نتجت عنها في كل المجالات واستغلال النصارى لها في تبني حركة الاسترداد النصراني الذي طال أغلب الأراضي التي كانت تحت حكم الموحدين.

- ظهور ثورات داخل الدولة الموحدية ما أضفى عليها عدم الاستقرار السياسي داخلها، وهذا ما كان له الأثر الإيجابي للنصارى في اختراق الدولة الموحدية بكل سهولة .

- كانت علاقات الدولة الموحدية بالممالك النصرانية تتميز دائما بالعداء وكانت علاقة حروب وصراعات دائمة في مختلف الفترات.

- توحد الممالك النصرانية تحت لواء الحرب المقدسة مع مباركة الكنائس لها ساهم إلى حد كبير في اتفاق الممالك النصرانية في حربها ضد الدولة الموحدية التي كانت تعاني نوع من التشتت وسعي كل من الأمراء إلى السلطة ولو على حساب الآخر.

- شكلت هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب بداية نهاية الأندلس الإسلامية ونقطة تحول في الصراع الإسلامي النصراني، حيث قضت هذه المعركة على سمعة الموحدين العسكرية، ودخلت الأندلس منذ ذلك الحين في حالة من الفوضى وحرب زعامات وصراعات على السلطة.

- أدخلت معركة حصن العقاب الدولة الموحدية في حالة من الضعف والانحيار، في حين أكسب النصارى مزيدا من القوة وفتح الباب أمام الإسترداد النصراني للاستيلاء على أراضي المسلمين.

- كانت الدولة الموحدية السد المنيع في وجه الممالك النصرانية بحملاتها المتتالية من أجل طرد المسلمين، إلا أن ضعف بعض خلفائها وهزيمة معركة العقاب كان له التأثير الكبير على شراسة الحملات النصرانية في الأندلس والتي انتهت بسقوط الدولة الموحدية آنذاك، ووضعت حدا لتوسعات المسلمين داخل أوروبا.

خاتمة

خلال معركة حصن العقاب، تبارت الجانبان في استخدام أحدث التكنولوجيا العسكرية وأساليب القتال المتقدمة. كانت المدافعة عن الحصن مستعدة تمامًا لمواجهة الهجوم، واستخدمت كل الوسائل المتاحة لها للدفاع عن موقعها. بالمقابل، حاولت القوات المهاجمة تجاوز التحصينات والدفاعات والوصول إلى داخل الحصن. استمرت المعركة لعدة أيام، وشهدت مواجهات مباشرة وقاتلاً شديداً بين القوات المتصارعة. تضحيات عديدة تم تقديمها من الجانبين، حيث سقط العديد من الجنود وتضررت الممتلكات العامة والخاصة. كانت المعركة ملحمة قوية شهدت بطولات عديدة وأفعال بطولية من الجانبين.

وفي الأخير نسأل المولى عز وجل أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الملاحق

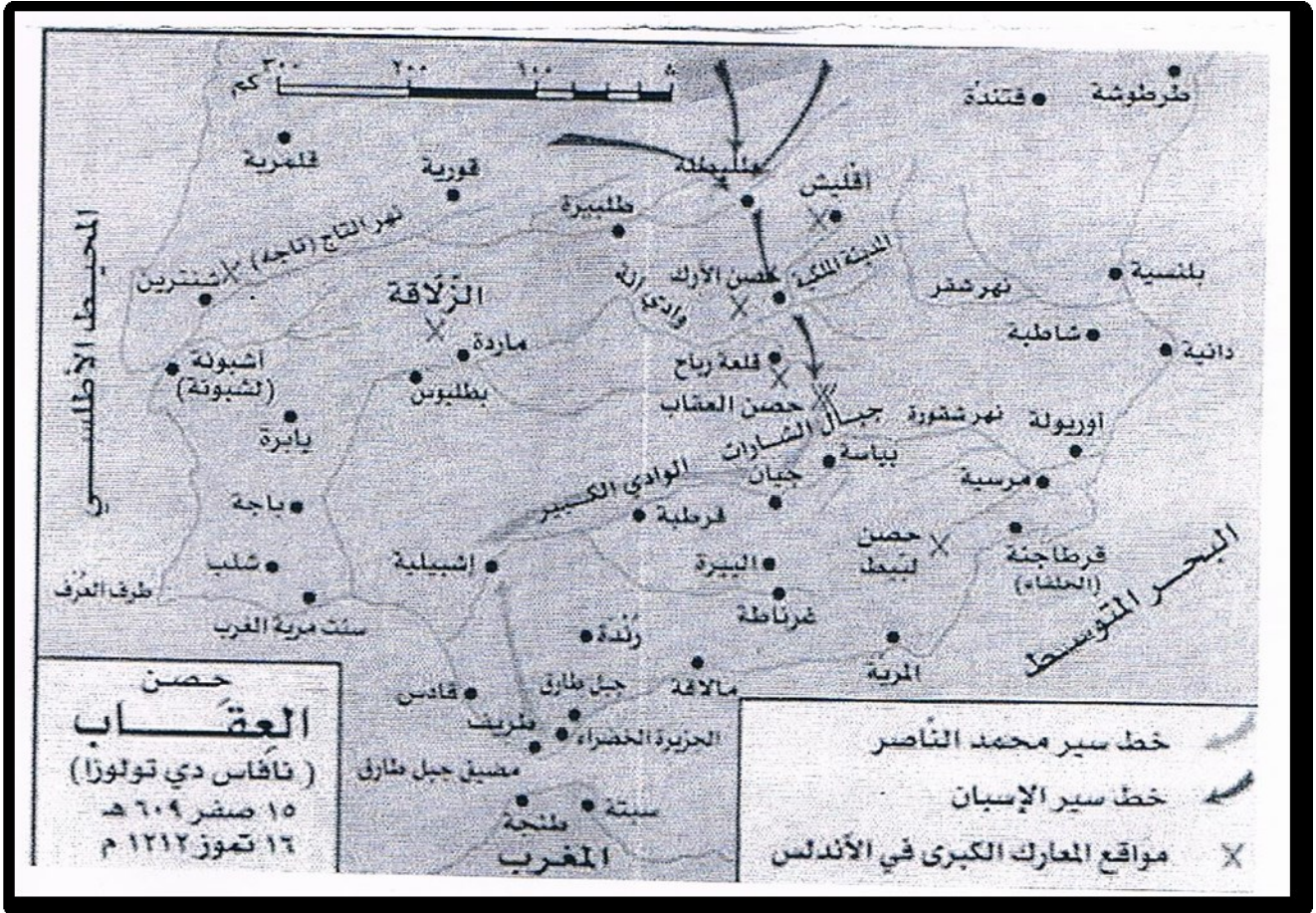
الملحق رقم: 01

خلفاء الدولة الموحدية

الترتيب	إسم الخليفة	فترة الحكم
01	عبد المؤمن بن علي الكومي	1133-1163م
02	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	1163-1184م
03	أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور	1184-1199م
04	أبو محمد عبد الله الناصر	1199-1213م
05	أبو يعقوب يوسف المنتصر	1213-1224م
06	عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن	1224-1224م
07	أبو عبد الله بن يعقوب المنصور	1224-1227م
08	يحيى بن الناصر	1227-1230م
09	المأمون بن المنصور	1227-1232م
10	الرشيد بن المأمون بن المنصور	1232-1242م
11	السعيد علي أبو الحسن	1242-1248م
12	أبو حفص عمر المرتضى	1248-1266م
13	أبو دبوس الواثق بالله	1266-1269م

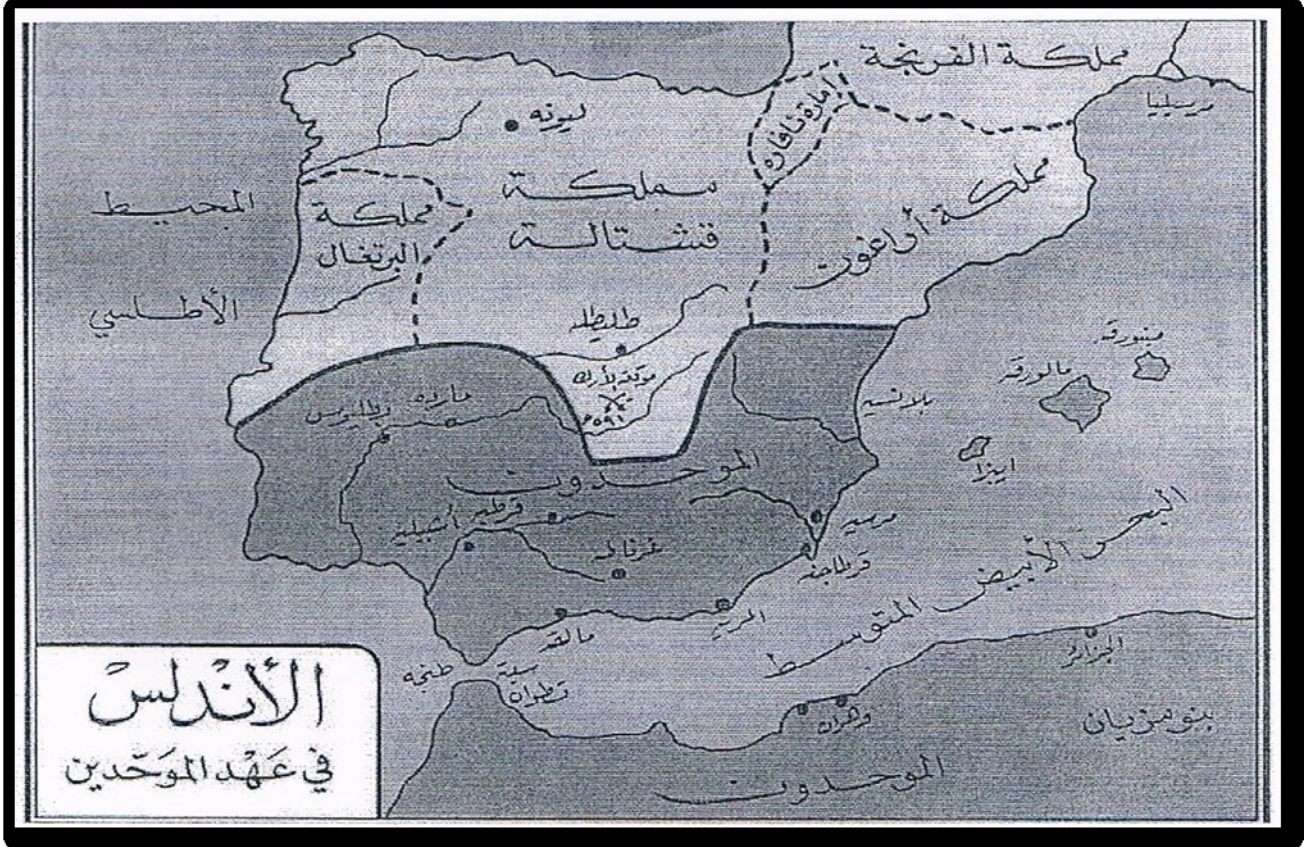
الملحق رقم: 02

خريطة تبين سير جيوش النصارى وجيوش الموحدين إلى حصن العقاب



الملحق رقم: 04

خريطة تبين اتساع رقعة الدولة الموحدية

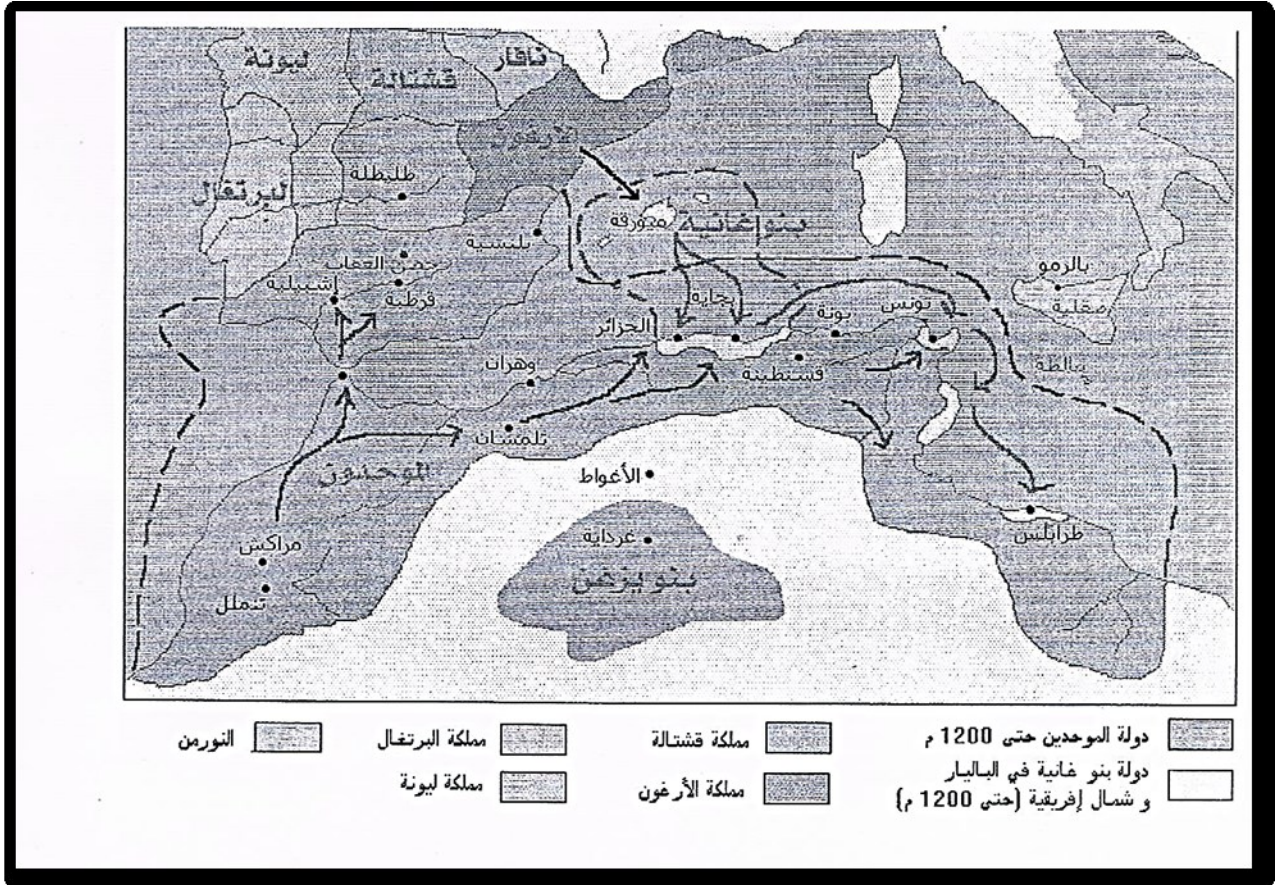


152

152 عمر ركة: علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: بودوايه مبخوت، قسم التاريخ: جامعة تلمسان، 2010-2011، ص 124.

الملحق رقم: 05

خريطة تبين الصراع بين الدولة الموحدية وبنو غانية





قائمة المصادر والمراجع

– قائمة المصادر والمراجع:

– الأحاديث النبوية.

أولاً: المصادر

- 1- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658هـ): الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، لبنان.
- 2- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري): الكامل في التاريخ، د ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966م، ج12.
- 3- البيهقي (أبو بكر الصنهاجي ت 55 هـ/1160م): أخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، د ط، باريس، 1928م.
- 4- الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط 2، دار الخليل، لبنان، 1988م.
- 5- أبو القاسم ابن عبيد ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، 1889م.
- 6- ابن الخطيب التلمساني : كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د ت.
- 7- ابن الخطيب (لسان الدين السلماني الغرناطي ت 658هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، 1973م، ج1.
- 8- ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج6.
- 9- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد عثمان ت 748 هـ /1374م : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت، لبنان، 1405هـ/1984م، ج19.
- 10- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي الفاسي 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس، تحقيق: الفيلاي، د ت، ج2.
- 11- الزركشي (محمد ابن ابراهيم بن اللؤلؤ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
- 12- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي 594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة، تحقيق: التازي، ط 1، بيروت، د ت.
- 13- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت 599هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، د ط، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

قائمة المصادر والمراجع:

- 14- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس بن محمد المراكشي 712هـ/1312م): بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م، ج3.
- 15- المالمقي الأندلسي أبو الحسن بن عبد الله: تاريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المراقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983.
- 16- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1988
- 17- عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي ت 647 هـ/1249م): وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 1997م.
- 18- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، د ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، د ت.
- 19- محمد بن مظفر ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، ج1، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998.
- 20- اليافعي (أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت 768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ج3.

ثانيا: المراجع

- 21 - الأشتر صالح: معركة الأرك 591هـ/1195م، د ط، دار الشرق العربي، بيروت، 1998م.
- 22- بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- 23- الجمباز محمد منير: معارك إسلامية خالدة من بدر حتى خروزي، ط 2، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، 1428هـ/2008م.
- 24- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، د ط، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ج1.
- 25- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجبل، بيروت، مكتبة، النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.
- 26- دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني(510هـ-546هـ/116م-1151م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
- 27- هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، عمان، الأردن، 1984م.
- 28- خير الدين الزركلي: الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ماي 2002م، ج 4.

قائمة المصادر والمراجع:

- 29- السلاوي (محمد بن خالد الناصري ت 1315هـ/1897م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، د ط، ج. 2.
- 30- شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ، دط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1990.
- 31- شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، در الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1984.
- 32- الصلابي علي محمد: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، د ط، عمان، الأردن، 1998م.
- 33- عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
- 34- العبادي أحمد مختار: صورة من حياة حرب والجهاد في الأندلس، ط 1، الإسكندرية، 2000م.
- 35- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، القسم الثاني، عصر الموحدين واختيار الأندلس الكبرى، ط 2، القاهرة، 1411هـ/1990م.
- 36- عقيلة الغنای، سقوط دولة الموحدين، ط 2، منشورات قارينوس، بنغازي، ليبيا، 2008م.
- 37- توفيق مزارى عبد الصمد: التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين، دط، منشورات دار الثقافة حسن الحسني، المدينة، الجزائر، 2009م. توفيق مزارى عبد الصمد: النشاط البحري في الغرب الإسلامي، منشورات دار الثقافة، حسن حسني، ط 2010.
- 38- مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط8، دار الرشاد، مصر، 2005.

- ثالثا : المراجع المعربة:

- 39- يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ج2، ط2، القاهرة، 1417هـ/1996.

- رابعا: المجالات:

- 1- محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مجلة الدارة، العدد 3، الرباط، 1987م.
- 2- عبد الفتاح متحلة الغنيمي موسوعة المغرب العربي، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1994م.
- 3- ساعد بن عبد الله البشيرى: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية، مجلة أم القرى، العدد 7، السعودية، 1992م.
- 4- (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي 660هـ): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ.

خامسا: الرسائل والأطروحات

- 1- الأعرجي نضال مؤيد مال الله عزيز: الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685هـ-706هـ/1286م-1306م)، دراسة سياسية حضارية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، اشراف: عبد الواحد دنون طه، جامعة الموصل، العراق، 2003.

قائمة المصادر والمراجع:

- 2- عامر أحمد عبد الله حسن: دولة بني مرين، تاريخها وسياساتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف عدنان ملحم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2003.
- 3- عمارة سيدي محمد: هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7/13هـ) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران، السانبة، 2012-2013.
- 4- عمر راعة: علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية بالأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف: بوداوية مبخوت، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010 2011.
- 5- طيب باي حبيب، عابدي أحمد، جلي يحيى: معركة العقاب دراسة تحليلية في الأسباب والنتائج 609هـ/1212م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2017-2018.
- 6- صديقي عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، إشراف الدكتور مكوي محمد، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014.

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرهان
	إهداء
	مقدمة
	الفصل الأول: الأوضاع قبيل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).
08	المبحث الأول: قيام دولة الموحدين.....
09	المطلب الأول: أبرز حكام الدولة الموحدية.....
09	1- عبد المؤمن وتأسيس دولة الموحدين.....
10	2- عهد يوسف بن عبد المؤمن بن علي.....
11	3- فترة حكم أبو يوسف يعقوب المنصور.....
11	4- عهد الخليفة محمد الناصر.....
12	المبحث الثاني: أهم انتصارات الموحدية قبل معركة حصن العقاب (609هـ/1212م)
13	المطلب الأول: ثورة ابن عبد الكريم الرجراجي.....
13	المطلب الثاني: ثورة الميورقي (597هـ/1200م).....
14	المطلب الثالث: ثورة عبد الرحيم بن عبد الرحمان... (598هـ/1201م).....
15	المطلب الرابع: ثورة بني غانية (582هـ/1186م).....
16	المبحث الثالث: أوضاع الممالك النصرانية والأندلس قبيل المعركة.....
16	المطلب الأول: ثورة القاضي أبي مروان ببلنسية.....
17	المطلب الثاني: ثورة ابن مردنيش (ذي الحجة 560هـ/أكتوبر 1165م).....
18	المطلب الثالث: معركة الآرك (09 شعبان 591هـ/18 يوليو 1195م).. الفصل الثاني: معركة حصن العقاب (609هـ/1212م) - الأسباب - والوقائع.
25	المبحث الأول: أسباب المعركة، التحضير ومجريات المعركة.....

25	المطلب الأول: أسباب معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).....
26	المطلب الثاني: الجيوش الموحدية وتحضيراتها للمعركة.....
29	المطلب الثالث: الجيوش النصرانية وتحضيراتها للمعركة.....
32	المطلب الرابع: مجريات ووقائع معركة حصن العقاب (609هـ/1212م).....
36	المبحث الثاني: أسباب هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب (509هـ/1212م)...
36	المطلب الأول: استبداد الخليفة الناصر برأيه.....
36	المطلب الثاني: طول فترة حصار شليطرة.....
37	المطلب الثالث: قتل ابن قادس.....
37	المطلب الرابع: تأثير ابن جامع على الخليفة في قراراته.....
38	المطلب الخامس: غرور الخليفة الناصر بعدد جيوشه.....
	الفصل الثالث: نتائج وانعكاسات معركة حصن العقاب على العالم الإسلامي والمسيحي.....
41	المبحث الأول: نتائج المعركة على الطرفين.....
41	المطلب الأول: نتائج معركة حصن العقاب على العالم الإسلامي.....
43	المطلب الثاني: نتائج معركة حصن العقاب على الأندلس.....
45	المبحث الثاني: انعكاسات المعركة على الطرفين.....
45	المطلب الأول: انعكاسات المعركة على العالم الإسلامي.....
47	المطلب الثاني: انعكاسات المعركة على بلاد الأندلس.....
	خاتمة
	الملاحق
	قائمة المصادر والمراجع

- الملخص:

لقد شكلت موقعة العقاب التاريخية سنة 609هـ/1212م تراجعا كبيرا لسلطة المسلمين في الأندلس، فكانت هذه المعركة هي البداية النهائية للحكم الإسلامي في الأندلس، حيث ساد الضعف في الدولة الموحدية سياسيا، ففقدت المغرب بعد أن فقدت السيطرة على الأندلس بسبب ضعف الأمراء، ونشبت بعدها الفتن والحروب والثورات والفوضى مما أدى إلى إنهاء الحكم الموحي في ظل التنافس النصراني للحصول على أراضي المسلمين والسيطرة عليها، ولم يمض النصف الأول من القرن السابع عشر الهجري الثالث عشر ميلادي حتى أخذ الإسلام يتقلص عن الأندلس، وخيم على الأندلس شبح النهاية المحتومة للدولة الإسلامية.

Résumé :

The historical battle of Al-Oqab in the year 609 AH / 1212 AD constituted a major decline in the authority of the Muslims in Andalusia, so this battle was the beginning of the end of Islamic rule in Andalusia, where weakness prevailed in the Almohad state politically, so Morocco lost after it lost control of Andalusia due to the weakness of the princes, and after that strife and wars broke out And revolutions and chaos, which led to the collapse of the Almohad rule in light of the Christian competition to obtain and control Muslim lands, and it was not until the first half of the seventeenth century AH, the thirteenth AD, that Islam began to shrink from Andalusia, and the specter of the inevitable end of the Islamic state loomed over Andalusia.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

